عاطف عبدالرحمن

# رواية
# تلك اللحظة

obeikan.com

الكتـــــــاب: تلك اللحظة

المـــؤلـــــف: عاطف عبدالرحمن

تصميم الغـــلاف: إسلام مجاهد

المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

رقـــم الإيـــداع: 19364 / 2016

الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 124 - 3

الإخـراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

obeikan.com

عاطف عبدالرحمن

# رواية
# تلك اللحظة

obeikan.com

obeikan.com

## إليكِ

فقط إليكِ

مجسدةً لحلم بالطهارة

متوضِّئة بالضوء

نازعةً أنياب الشرير

مانحةً للحياة ألْقَها..

الذي بها يليق.

" عاطف عبد الرحمن "

obeikan.com

obeikan.com

في عالم تكثر فيه البشاعة..

لا أملك إلا أن أمسك بالقلم..

لأكتـــــــــــب.

obeikan.com

obeikan.com

# (١)

تلك اللحظة.. التي يقف فيها المرء حائرًا، ما بين ماض تبدّد.. وحاضر تجمَّد.. ومستقبل مهدَّد، تتنازعه أشواق جارفة نحو مسار لم يُقدر له أن يكتمل.. ومسارات ود لو استطاع إنشاؤها والسير فيها.. تتقاذفه الأهواء والنزعات يُمنة ويُسرة مطوحة بقدرته على التوازن في هذا العالم الذي ولجَهُ بإرادته.. باحثًا عن إجابات لأسئلة بدت له أسئلة وجودية بسيطة.. بيْد أن رحلة البحث أفْضت به إلى صعوبة الإجابات إن لم يكن استحالتها.

قرر أن يسلك الدرب الذي اختاره عقله.. متجنبًا مشاعره وعواطفه.. فالعقل موطن الإجابات ومبْعث التساؤلات.. لكنه ما أن ولج هذا الدرب، حتى وجد نفسه يغوص بقدميه في أرضٍ لا

يعرف لها قرار.. وكلما حاول الإفلات كان يجد نفسه يغوص أكثر فأكثر.

كانت الأرض تميد تحت قدميه فيُوغل أكثر فأكثر.. انتبه لنفسه فوجد الموت يُحاصره من كل جانب للدرجة التي أمكنه فيها أن يشتمّ رائحته.. لم يكن يُدرك قبل ذلك أن للموت رائحة.. لكنها الآن – الرائحة – تحاصره وتكتم أنفاسه.

تلك الرائحة التي يتشمَّمها في كل الاتجاهات.. وتجعل الهواء ثقيلا.. فيتعرَّق للدرجة التي فيها تبلَّلت ملابسه.. حاول أن يتخفف من ملابسه؛ فوجد الرائحة تُحاصره أينما توجه.. وأدرك أن الرائحة نابعة منه.

تلفَّت حول نفسه في محاولة إيجاد مخرج.. لكن الدائرة كانت تزداد التفافًا حوله.. ألقى بثقله في بركة المياه الموجودة أمامه محاولا التخلص من الرائحة.. لكنه وجد الرائحة تزداد والهواء يثقل.. شعر بأنفاسه خارجة منه مُحملة بالرائحة التي تُطارده؛ رائحة الموت.

جاهَدَ حتى خرج من الماء، واستلقى على العشب الطريّ..

تنفسَ بصعوبة.. فَرَدَ ذراعيه باتساع المدى.. وترك العشب المُبلل يداعب جسده بقطرات من ماء آسِنٍ تراكمت عليه عبر أزمنة لا يدري عددها.

فتح عينيه في مواجهة السماء باحثًا عن شعاع ضوء يتسرب إليه من خلال تلك الغلالة الكثيفة من الضباب المُحيط به.. لمح على البُعد طائرًا صغيرًا يُحلق حول غُصن شجرة.. تابَعَهُ ببصره فوجده يدلف إلى دغل كثيف.

اعتدل وسار وراء الطائر.. وكلما أوغلت خطواته بين الأعشاب العالية.. كانت الرؤية تبتعد شيئًا فشيئًا.. حتى صار العثور على الطائر الصغير أملاً مستحيلاً يطارده كما لو كان يطارد حلمًا راوده يومًا ما.. شعر بقدميه تثقلان بفعل الخوض في الأرض الرخوة..

وشكلت الأعشاب حاجزًا يحول بينه وبين خارجها.. شعر بأنه يدور حول نفسه ويعود لنفس المكان الذي تركه منذ قليل.. والأعشاب التي تزداد كثافتها تخنق أنفاسه كلما سار بينها.. شعر بأنه دخل متاهة ليس منها مهرب.. وأصبح الخروج من

ذلك الدغل كثيف العشب هو الأمنية التي يجهد نفسه لتحقيقها.

ورغم سعيه الحثيث لإنجاز مهمته تلك؛ إلا أن رائحة الموت كانت تزداد وضوحًا بالنسبة إليه.. والهواء يزداد كثافة لدرجة أنه كان يجاهد كي يتنفس.. بل أنه كان يسمع صوت تنفسه بوضوح.

في تلك اللحظة التي كان يجاهد فيها ليشق لنفسه طريقًا بين الأعشاب الممتدة الكثيفة، وجد نفسه يعبر بالذاكرة إلى واقع كان يُعايشه.. عندها شعر بعقله يسير وراء عالمه المُعاش، ذلك العالم الذي ولجه بكامل إرادته غير عابئ باختلافات كان يدرك كنْهها قبل أن يلج.. تاركا خلفه عالمًا صبغ داخله بصبغته، بينما حواسه مازالت تتشمَّم رائحة الموت الذي غلَّف الكون المحيط به في تلك اللحظة..

كان اختلاط الأعشاب على الأرض بالماء الآسن قد أنبت العديد من الفطريات التي بدت له واضحة؛ فحاول أن يزيل البعض منها؛ فزكمت أنفه رائحة العطن التي أصابت التربة تحت قدميه.. وأدرك أن الموت يحاصر الدغل من كل جانب..

obeikan.com

وما من مهرب يلوح له في الأفق يمكنه من العثور على هذا الطائر الذي كان يحلق من لحظات.. أدرك أنها مهمة صعبة.. هل يواصل البحث عن الطائر.. أم عليه أن ينزع عن الأرض المبللة عفنها؟

تلك اللحظة..أدرك أنه مجبر على الاختيار.. بيْد أنه لم يكن متيقنًا هل يختار السير وراء العقل الذي يدرك بوعي ما يريد.. أم أن عليه أن ينحاز إلى مشاعره؛ تلك التي تهبه الأمل؛ بحثًا عن الطائر الذي كان يُحلق منذ قليل.

obeikan.com

obeikan.com

## (٢)

تجددت الصراعات اليومية مع سابرينا زوجته.. وازدادت الصراعات حِدَّة في الأيام الأخيرة.. كان دائم الشرود مهموم البال.. حاول أن يفهم سبب هذا التغيير.. لم يمكنه ذلك.. كل ما يُدركه أنه توجَّه بعد يوم عمل شاق إلى شاطئ البحر.. كان يسعى للحصول على بعض لحظات من استرخاء بعد أن يتشمَّم الهواء الطازج القادم من البحر..

لكنه ما أن وقف على شاطئ البحر فاتحًا ذراعيه باتساعهما ليمكن رئتيه من استقبال الهواء المشبع برائحة اليود إلا وانتابته حالة من الشرود وكأنه يطارد ذكرى قديمة هبَّت على مُخيلته فجأة.. وإن كان لا يتذكر تفاصيل الذكرى.. لكن الجو



obeikan.com

العام المحيط بها هو ما أثار مخيلته وسبب له شعورًا بالقلق غير المبرر بالنسبة له..

أفقده ذلك الشعور اتزانه وجعله شاردًا مهمومًا.. ولم تكن سابرينا تفهم أسباب ذلك التغير الذي طرأ عليه.. في البداية ظنت سابرينا أن متغيرًا ما طرأ على عمله.. حاولت أن تستفهم منه؛ لكنها لم تتوصل إلى سبب حقيقي..

فكرت في تغيير الجو فصحبته إلى إحدى الجزر الأسبانية الهادئة حيث الجو المُنعش ومياه المحيط التي يُمكن أن تُريح أعصابه.. لكنه ما أن تنسم الهواء البارد المشبع باليود إلا وعاودته الأحاسيس المربكة التي سيطرت على مشاعره.. جاهدت سابرينا لإخراجه من تلك الحالة.. لكنه ظل شاردًا مهمومًا..

نصحها بعض الأصدقاء بتركه لحاله؛ ربما كان الحنين إلى الوطن هو سبب هذا التغير.. عرضت عليه سابرينا أن تأخذه في رحلة إلى مصر علَّه يستعيد بريقه الذي فقده.. لكنه لم يرحب بأي اقتراح من سابرينا.. كان يشعر بشيءٍ يطارده في النوم

وفي الصحو.. حاول أن يتبين كُنْهه؛ فوجد مشاعره تضطرب وتنتابه نوبات من العصبية وضيق الخلق.

ازدادت نبرة صوته علوًّا مع أي خلاف ينشأ بينهما.. وكان دائم الغضب.. تركت سابرينا المنزل وتوجهت صوْب منزل والديها.. كان زواجها منه نتيجة قصة حب تعلقت خلالها به وأصبح هو كل حياتها.. لم يكن لاختلاف الثقافة والديانة والجنسية بينهما أي قدر من تعكير صفو العلاقة التي حرصت سابرينا على إنجاحها رغم كل الظروف..

ساعدته على إيجاد عمل مستقر؛ بدخلٍ يُحقق طموحاته كأي شاب مصري مُغترب.. تفهمت رغبته في عدم الإنجاب.. وفرت له مناخًا نموذجيًّا للنجاح والاستقرار.. كانت قصة حبهما التي تجاوزت العشرين عامًا مضرب الأمثال بين الأصدقاء.. وكان لنجاحه في عمله الفضل في توفير الحياة التي طالما حلم بها وحدَّث سابرينا عنها..

في الأيام الأخيرة طرأ التغيير الذي لم يعرف سببه.. تركته سابرينا ربما هدأت أعصابه وعاد إليها.. لكن الأزمة التي كان

يمر بها اشتدت.. ووجد نفسه مدفوعًا بحنينٍ طاغٍ للعودة إلى دياره.. في الصباح سأل عن مواعيد الطائرات وحجز على أول رحلة متجهة إلى القاهرة.. وما أن هبط من المطار حتى توجه إلى أقرب فندق ليبيت ليلته.. عاقدًا العزم على السفر صبيحة اليوم التالي لبلدته..

وفي الموعد الذي حجزه كان يركب الأتوبيس متجهًا إلى موطن ذكرياته ومهبط أحلامه.. تلك المدينة التي تقع على ناصية العالم.. بورسعيد.

أخرج التاب من حقيبته ووضعه على قدميه وبدأ يكتب..

**- غارقٌ أنت في هذا الكون.. وحيدًا تُردد أنشودتك.. هل يسمعك أحد؟ لا جواب.. لكنك في الموعد المضروب لك سوف تمضي.. قاطرة أخرى لن تنتظرك.. أحلامك المؤجلة ماتت برحيلك.. وما كان ينبغي لك لن يكون.. بعض من أرغفة قديمة.. إطار لصورة باهتة.. وبعض ثرثرات تلوكها الألسن لامرأة عجوز تلتمس الدفء على نار الموقد.. وتحكي سيرتك العطرة يوم كنت تُبادلها كلمات الحب.**

توقف عن الكتابة؛ فقد شعر بجاره يُحدق في التاب الموضوع بين يديه.. تمهل قليلاً وأعاد النظر إلى التاب وأكمل..

**-في هذه الدنيا ما يستحق أن تحيا من أجله.. فقط عليك أن تُدرك ما هو..؟ فبدلاً من البحث عن السعادة بين أيدي الآخرين.. ابدأ بالبحث عما بين يديك.**

نظر إلى جاره في الكرسيّ المُجاور فوجده ينظر لما يكتبه.. أدار التَّاب ناحيته واستكمل الكتابة..

**-لم تكن الرحلة هي الصعبة.. ربما كنت خلالها أطارد شبحًا ما، أو يطاردني هو.. هجرت واقعًا وأحلامًا عايشتها لعشرين عامًا.. لكنني أعود ثانية.. نعم.. كنت طوال هذه الفترة ..فترة اغترابي.. غرسا ينبت وينمو صاعدا في اتجاه السماء.. لكنه في نفس الوقت لا يرتوي من جذوره التي يشعر بأنه بات مقطوعًا عنها.. تلك التي شكَّلت البدايات الأولى.. تلك الممتدة هناك ضاربة في عمق لا متناهٍ مؤكدة على ارتباطها يجذبني كلما حاولت الفرار منها.. وها أنا ذا عائدٌ لأبحث عنها.**

شعر بأن جاره يراقبه بطرف عينه..توقف عن الكتابة فقد كان جاره ينظر إليه وهو يكتب محاولا قراءة ما يكتبه.. أغلق التاب فصدرت من جاره زفرة أعقبتها نظرة غاضبة لرجل قطعت عليه متعة ما.. إنتابته الدهشة من رغبة هذا الجار في إقتحام عالمه الخاص.. نظر إليه جاره نظرة حادة غاضبة.. قرر ترك المقعد والبحث عن مقعد بديل.. نظر إلى مؤخرة السيارة فوجدها مليئة..

نظر ناحية السائق فوجد جواره مقعد فارغ يبدو أنه يستخدم في المسافات الطويلة للسائق البديل.. توجه إلى جوار السائق.. وعدل وضع المقعد وجلس.. نظر إليه السائق مستفسرا فوضع في يد السائق سيجارة.. تناولها السائق بنفس راضية.. أشعل السائق السيجارة ـ رغم لافتة منع التدخين الموجودة أمامه ـ وواصل القيادة..

نظر إلى الخلف فوجد جاره في المقعد يغط في نوم عميق.. واصل النظر إلى الطريق الذي يقطعه الأتوبيس.. وأخذ يتذكر الليلة الماضية.. منذ حطت به الطائرة.. وتوجهه لأحد الفنادق.. وقضاء سهرة بإحدى مقاهي الحسين.. ثم توجهه

بعد ذلك إلى الفندق للحصول على ساعات قليلة من النوم قبل موعد الأتوبيس الذي يقله لبلدته.. موطن الذكرى ومهبط الأحلام.

تواترت الأنباء إليه في بدايات غربته بوفاة والده ووالدته.. لم تسعفه ظروفه لحضور الجنازة لكليهما..ولكونه الابن الوحيد لهما.. فقد طالت فترة غربته عن موطنه.. تلك الفترة التي تزوج فيها من سابرينا.. وعاشها في أسبانيا مغتربا.. لكنه بعد هذه المدة وجد نفسه عائدا ثانية.. تنتابه الكثير من المشاعر المتضاربة مشوشة ذهنه.. وأفكار قلقة مثيرة لتساؤلات يبحث لها عن إجابات.

عند وصول الأتوبيس إلى المحطة النهائية كان هو أول المغادرين.. عدل وضع حقيبة الظهر على كتفيه.. وأخذ يحاول أن يشيع في عضلاته بعض النشاط.. اعتدل فوجد جاره في المقعد في الأتوبيس ينظر إليه.. تقدم الجار إليه محاولا محادثته.. أسرع باستيقاف سيارة أجرة انطلقت به في نفس اللحظة التي كان جاره يحاول أن يستوقفه..

شرح العنوان للسائق الذي انطلق.. أخذ يتأمل الشوارع والبيوت وما لحق بها من تغييرات جعلته يكاد يقسم أنه ذهب إلى مدينة أخرى.. قبل أن يستفيق من تساؤلاته توقفت السيارة.. نظر إلى السائق مستفهما فقال له السائق:

-هذا هو العنوان.

ترجل من السيارة ونقد السائق نقودا.. تلفت حول نفسه مندهشا من تغير المكان.. نظر إلى السماء التي كانت السحب تتجمع بها بشكل كثيف منذرة بقرب هطول الأمطار.. وازدادت سرعة الرياح في الشارع مثيرة كمية كبيرة من الزوابع..التفت إلى السائق في محاولة للفهم في نفس اللحظة التي انطلقت فيها السيارة مخلفة كمية كبيرة من التراب الذي تناثر أمام وجهه مثيرا دوامة هوائية..

رفع يديه أمام عينيه ليحمي وجهه من التراب في نفس اللحظة التي سقطت فيها حقيبة يده أرضا.. مد يده ليتحسس مكان الحقيبة.. فوجد الدوامة الهوائية تزداد حدة وتدفعه بعنف لم يقدر على مقاومته..

شعر بنفسه يدور حول نفسه دورات متتابعة حتى يكاد يسقط على الأرض..حاول التماسك فشعر بأنه يرتفع عن الأرض.. اندفع إلى الأمام قليلا.. متعثرا في خطواته حتى كاد أن ينكفئ على وجهه..

حاول أن يقترب من أي جدار ليحتمي به.. سكنت حركة الدوامة الهوائية حوله. شعر بخفوت حركة الهواء..فتح عينيه.. كان الجو حوله ساكنا.. بحث عن الحقيبة فلم يجدها.. نظر إلى الأمام فوجد الشارع الذي كان يسكن فيه في سنوات صباه وطفولته الأولى.. الشارع لم يتغير كثيرا..نفس المباني التي تركها كانت على حالها.

obeikan.com

obeikan.com

## ( ٣ )

أسرع متجها إلى حيث منزله.. لكنه فوجئ بأصدقاء طفولته يلهون بالدراجات الهوائية ذات الثلاث إطارات كما كانوا يفعلون صغارا.. لم يسأل ولكنه اندفع إلى الدراجات وأخذ واحدة.. وسابق الصغار كما تعودوا صغارا.. تعالت ضحكاتهم وصراخهم والدراجات تتصادم مع بعضها البعض.. الأمر الذي أثار حنق وغضب الرجل صاحب المحل..

حاول الرجل استيقافهم.. هربوا منه في الشوارع الموازية.. أحضر الرجل دراجة كبيرة وقام بمطاردتهم في الشوارع.. كان كلما اقترب من أحدهم ترك له الدراجة وأسرع هاربا.. فينشغل الرجل بالدراجة الملقاة في الشارع.. وهكذا تمكنوا من الهروب



obeikan.com

من بين يديه..واستعاد الرجل الدراجات بعد مطاردة مثيرة.. ووضعها مكانها في مقدمة المحل.. وأسرع كل منهم إلى منزله عدوا.. وفعل مثلهم..

في الطريق إلى المنزل لاحظ أن الشوارع خالية من المارة تماما..انتابه شعور بالانقباض.. لكنه واصل السير حتى وصل إلى بوابة المنزل.. نظر إلى باب الشقة.. وقرأ الاسم الموجود على اللافتة.. (الأستاذ) مكتوبة بخط الثلث في سطر بمفردها وتحتها "عبد العزيز السيد الشربيني"..

شعر بسعادة داخله فهذا هو المنزل.. والمكتوب على باب الشقة اسم والده بالطريقة التي يحبها الوالد.. رفع يده ليطرق على الباب في نفس اللحظة التي فتح فيها باب الشقة.. وخرج والده أمامه.. انتابته الدهشة لعدم نظر والده له.. دخل إلى الشقة فوجد والدته تقوم بإعداد الطعام وطهوه.. وقف يرقبها لبرهة.. وهي غير منتبهة لوجوده..

لحظات ودخل والده ببعض الحاجيات التي كان قد خرج لإحضارها.. تحدث الأب والأم لحظات داعبها خلالها الأب..

وطبع قبلة على خدها.. وخرج تاركا إياها لتستكمل العمل.. كاد أن يجن.. فمن عادة الوالد إلا يداعب زوجته في حضور أي إنسان.. بالعكس كان يعاملها بغلظة وجفاء أمام أي أحد ظنا منه أن ذلك يزيد من قدره في نظر الآخرين..

ترى.. ما الذي غير معاملته لها بهذه الطريقة..؟ أم ترى لم لا يشعران هما الاثنان بوجوده في المنزل..؟ ازدادت حيرته.. حاول أن يفهم لكنه شعر بآلام تدهم جسده.. ورغبة ملحة في النوم.. وضع جسده على السرير.. وراح في سبات عميق.

أستيقظ على صوت صريخ مرتفع.. أضاء المصباح الموجود إلى جواره.. أرهف السمع ليحدد مصدر الصوت.. كان الصوت قادما من المنزل المقابل ويزداد ارتفاعا.. أسرع بمغادرة الفراش وتوجه من فوره إلى منزل كاترينا.. كانت تمسك بالمكنسة وتطارد شخصا ما..

حاول أن يستفهم منها فأزاحته جانبا ملوحة بالمكنسة في وجهه مستمرة في مطاردة طريدتها.. اكتشف أن كاترينا لا تطارد لصا بل تطارد قطة تسللت في ظلام الليل إلى المطبخ

والتهمت طعام كاترينا..

أضاء النور في صالة منزل كاترينا فكشف مكان اختباء القطة التي طاردتها بالمقشة حتى أخرجتها من المنزل..هدأت كاترينا أخيرا بعد أن أيقنت أنها هي المخطئة حين تركت نافذة المطبخ مفتوحة ونامت.. لكن كاترينا بررت ذلك بأنها اضطرت لذلك بفعل حرارة الجو التي تمنعها من النوم..

نظر إلى ملابس كاترينا فوجد أنها لا ترتدي سوى قميص أبيض بحمالات رفيعة.. فأدرك أن حرارة الجو المرتفعة هي التي كانت السبب في ترك الشباك المفتوح ومنه قفزت القطة الشاردة إلى الداخل.. أحضرت له كاترينا شرابا باردا.. وأحضرت له بعض المثلجات.. وشكرته على سرعته في نجدتها.. وأخذت كاترينا تحادثه بينما كان من الواضح أنها تحادث نفسها:

- لست أدري ماذا أفعل..؟ هل أعود ثانية إلى اليونان..؟ ومع افتراض عودتي.. فمن الذي يعرفني هناك..؟.. أنا نفسي لا أعرف أحدا هناك.. كل حياتي كانت في هذا المنزل.. ولدت هنا.. والدي كان يعمل في هيئة قناة السويس.. وعندما حدث

تأميم لقناة السويس عاد الكثير من الأجانب إلى بلدانهم.. لكن أبي رفض أن يغادر البلاد هنا.. عاد إلى اليونان ليتزوج.. وأحضر زوجته لتعيش معه.. قال: أنا مصري ولابد أن أعيش هنا..

وبعد أن مات..ظللنا في هذا المنزل أنا ووالدتي.. لكن والدتي بعد فترة توفيت هي الأخرى وتركتني وحيدة هنا.. وأنا لا أعرف ماذا أفعل..؟ أو أين أذهب.. لا يوجد مكان أذهب إليه.. وليس لي دخل أتعيش منه سوى معاش الوالد..منه أتعيش وأصرف.. لم يتقدم أحد للزواج مني.. لم أجد الشخص المناسب لي حتى الآن..فماذا أفعل..لست أدري.. لست أدري.

كانت كاترينا تحادثه وهي تتحرك في أرجاء المطبخ لإزالة آثار الغزو الذي قامت به القطة منذ قليل.. والمطاردة التي أسفرت عن تحطم بعض الأطباق.. كان ما يشغله هو لون جسد كاترينا المائل للحمرة والمشبع ببعض النمش الذي يزيده جمالا..

لم يشغله حديث كاترينا قدر انشغاله بالنظر إلى فخذيها من الخلف حين انثنت لتضع بعض الأواني في دولاب المطبخ..

أنهت كاترينا عملها وجلست على أحد المقاعد تستكمل حوارها..حاول التقرب إليها بحجة مواساتها..لكنها كانت في نفس اللحظة تتأهب للنوم..

تركها وغادر مسرعا.. عاد إلى فراشه..حاول أن ينام لكن ملامح أجزاء جسد كاترينا التي ظهرت له واضحة منذ قليل استولت على تفكيره.. هذا الجسد البض الممتلئ..والصدر النافر.. والشعر المذهب الملقى بلا مبالاة على أكتافها العارية..

رسم صورة لكاترينا بإصبعه في الهواء أمامه.. وصار يتأمل ملامحها.. لكنها ما لبثت أن أحضرت في يدها المكنسة وطوحت بها تجاهه مطاردة له.. أشاح بوجهه عنها وخبأ وجهه أسفل المخدة متحاشيا النظر إليها.. وما هي إلا لحظات إلا وكان النوم قد استغرقه.

obeikan.com

## (٤)

أيقظته أصوات ضحكات نسائية متتابعة.. قفز من الفراش متجها إلى السلم المؤدي إلى المنور حيث خمن مصدر الصوت.. وكان تخمينه سليما.. كانت الجارات واقفات كل في شرفة المطبخ المطلة على المنور.. وكل منهن تفرد قطعا من ملابسها الداخلية على الحبل الممدود على البلكونة أمامها..

كمن في مكانه يترقب حوارهن.. فوجد كلاما مكررًا عن ليلة ليس مثلها ليلة قضتها كل منهن.. بيد أن "اعتدال" ساكنة الدور الثالث كان حوارها مختلفا فكانت تشكو من آلام بالمفاصل والعظام وقلة نوم لليلة طويلة.. كاد أن يتعاطف مع أوجاعها لكنه ما لبث أن سمع ضحك النسوة وضحك " اعتدال " معهن



obeikan.com

فأدرك أنها تشاطرهن الحوار بطريقة تثير غيظهن..

التفتت اعتدال ناحيته فوجدته متصنتا على الحوار.. ضحكت وسألته عن أحواله فازدرد لعابه وهو لا يستطيع النطق.. ضحكت وأشارت إليه أن يدخل ليشرب..دخل إلى مطبخها فوجد العديد من زجاجات البيرة.. بحث عن كوب ليشرب من الصنبور.. دخلت خلفه ولاحظت حيرته..

ضحكت هازئة وأشارت لزجاجات البيرة.. لم يفهم.. فتحت زجاجة وشربت منها قليلا وناولته الزجاجة.. شرب منها قليلا.. وأعادها إليها.. وقفت تنظر إليه.. أشارت إلى دولاب المطبخ وطلبت منه إحضار إحدى الكراتين من فوقه.. حاول أن يمد يديه أعلى الدولاب فلم يتمكن.. ضحكت من تصرفه..

أحضرت سلما وطلبت منه أن يتلقى الكرتونة من يدها.. وقف أسفل السلم ورفع بصره إلى أعلى وليته ما فعل.. أطال التأمل والنظر ولم يشعر بها عند نزولها.. استندت بمرفقيها على منضدة في مواجهته فكشفت صدرها عاريا تماما أمامه.. ارتبك وحاول أن يزدرد لعابه..

شعرت به فعدلت من وضعها وتوجهت إليه متمايلة في دلال متساءلة عما به.. لم يقدر على الإجابة.. تقدمت منه حتى التصق بالحائط تماما وصار جسدها لصيقا بجسده.. أطرق إلى الأرض.. نظرت في عينيه وحركت جسدها محاولة إثارته.. ازداد ارتباكه وعجز عن الفهم أو الإتيان بأي فعل.. لكزته بعنف في كتفه مختبرة قدرته على التحمل.. أوجعته الضربة فتألم..

ضحكت ثانية.. ومدت يدها إلى طبق إلى جوارها.. أعطته قطعة من الحلوى تناولها بفرح.. باعدت ما بينها وبينه فاندفع مسرعا عبر السلم المؤدي إلى المناور.. قطع السلم عدوا إلى الأسفل..

وجد الشارع خاليا من أي حياة عدا رجل عجوز يجلس على رصيف الشارع يقرأ في جريدة.. اقترب من الرجل وجلس إلى جواره.. نظر إلى الجريدة فوجد تاريخها يعود لسنوات مضت.. عاود النظر إلى الرجل.. لم يستطع تذكر ملامحه رغم أنه يكاد يجزم أنه يعرفه..

سأل الرجل عن سكان الشقق وأين هم الآن.. نظر إليه الرجل

نظرة حائرة.. وعاود النظر في الجريدة.. أشار إلى منزله وسأل عن سكانه ناظرا إلى شباك المنزل.. عاود النظر إلى الرجل.. فلم يجده..

تلفت حوله باحثا في كل الاتجاهات لكن الرجل كان قد اختفى.. فكر أن يعود إلى اعتدال عله يجد عندها بعض الإجابات.. ولكنه حسم أمره وتوجه إلى منزل كاترينا.. وجد الباب مغلقا من الخارج وعليه قفل كبير..

دار حول منزل كاترينا فوجد الرجل العجوز جالسا خلفه يقرأ في الجريدة.. أسرع إليه وأمسك به من كتفه.. نظر الرجل إليه وتابع قراءة الجريدة.. سأل الرجل بنبرة حادة:

-أنا أسألك عن الناس.. أين ذهبوا.. ولماذا اختفوا..؟

تلفت الرجل إليه وتساءل:

-ناس..؟ أي ناس..؟

-عبد العزيز الشربيني..أبي وأمي.. والسيدة كاترينا.. كل سكان الشارع.. أين ذهبوا..؟

-لا يوجد أي ساكن في هذه البيوت.. كلها بيوت مهجورة.

obeikan.com

انتابته دهشة وحيرة.. بدا غير فاهما لما قاله الرجل.. صرخ صرخة عظيمة وتلفت حول نفسه.. دار دورة كاملة حول نفسه وهو يشاهد البيوت المغلقة.. ويحاول أن يتسمع لأي صوت.. عاود النظر إلى الرجل العجوز فلم يجده.. تلفت حوله وبحث في الشوارع المحيطة.. أعجزه البحث وشعر بلحظة ضياع..

جلس على الرصيف وأستند بظهره إلى الجدار.. تأمل البيوت المغلقة.. شعر باليأس.. أغمض عينيه حابسا داخلهما طوفان من الدموع يكاد أن ينفجر.. ود أن يجد إجابة لسؤال أخذ يضرب رأسه بعنف:

-إذا كانت البيوت خالية.. فمن الذين أحادثهم على فترات.. وما الذي أتى بي إلى هنا..؟.. البيوت على شكلها منذ رأيتها قبل سنوات طويلة.. الناس هم أيضا كما تركتهم منذ سنوات.. لم يكبر أحدهم يوما واحدا.. وأنا.. أحيانا أكون صغيرا.. وأحيانا أخرى شابا..

ما الذي يحدث لي.؟. وما سبب هذه التحولات.؟. فقط لو استطعت الوصول إلى الهاتف المحمول..ربما أمكنني الاتصال

بمن يفيدني.. وربما لو عثرت على حقيبتي الضائعة لوجدت حلا لهذا اللغز.. وهذا الرجل الذي يظهر فجأة ويختفي فجأة.. ترى.. من هو..؟.

عشرات من الأسئلة أخذت تتصارع بعنف وضراوة داخل رأسه.. لكنه أبدا لم يتمكن من العثور على إجابة لأي منها..وعندما أعجزته الإجابات وأنهكته الأسئلة اسلم نفسه لغفوة استولت عليه تماما.

obeikan.com

## ( ٥ )

استيقظ مرعوبا إثر نزع والده الغطاء من فوقه.. كان والده قد ناداه ليستيقظ عدة مرات.. وفي كل مرة كان يجيب لكنه يعاود النوم.. أو لنقل أنه يتظاهر بالنوم.. فتح عينيه فوجد والده يقف أمام السرير بكامل ملابسه.. نفس الهيئة المحببة للوالد.. بدلة كاملة ورباط عنق..

أدرك أنه لن يفلح في التهرب هذه المرة.. فقام واتجه إلى الحمام استعدادًا للذهاب مع والده لأداء صلاة الجمعة في المسجد.. طوال شهور وسنوات وهو يتهرب من هذا.. أحيانا كان يقول لوالده سوف ألحق بك ولكنه لا يفعل.. مرات عدة كان يتظاهر بالمرض بيد أن هذه الحيلة لم تعد تنطلي على الوالد..



obeikan.com

جذب المنشفة بيده وأغلق باب الحمام خلفه.. وقف أمام صنبور المياه وتطلع إلى وجهه في المرآة.. عادت به الذكرى إلى اليوم الذي أخذه والده معه لأداء الصلاة في المسجد.. كان عمره وقتها لا يجاوز السنوات الخمس.. كان الجو شديد البرودة.. واليوم أجازة يحلو النوم فيه.. لكن والده أصر على إيقاظه واصطحابه معه..

أعدت والدته حماما دافئا.. أنعشه الماء الدافئ.. وارتدى ملابسه وخرج بصحبة الوالد.. كان الأستاذ عبد العزيز يحرص على الذهاب إلى المسجد مبكرا ليجلس في الصفوف الأولى ويستمع إلى قراءة القرآن.. أثناء سيره مع والده شعر برجفة من برودة الجو..فوضع يديه في جيوبه طلبا للدفء.. في المسجد شعر برغبة في دخول الحمام..

طلب ذلك من والده الذي نظر إليه باستهجان وطلب منه أن يتماسك حتى تنتهي الصلاة حتى لا ينقض وضوءه..أفزعته نظرة الوالد.. وكلما عاودته الرغبة في التبول أحجم عن ذكر ذلك خوفا من نظرة الوالد.. كانت مقاومته تزداد كل لحظة.. حتى وصل إلى اللحظة التي لا يمكن له فيها أن يمسك نفسه..

وكانت تلك اللحظة أثناء الصلاة..

شعر بأعضائه تتمزق وهو يحاول التمسك أملا في أن تنتهي الصلاة ويسمح له والده بالذهاب للحمام.. لكنه في لحظة لم يستطع التحكم في نفسه.. ووجد البول يخرج منه رغما عنه.. شعر المصلون بذلك وأعادوا ترتيب صفوفهم سريعا بعيدا عن مكانه.. لكن الوالد قطع صلاته وجذبه وخرج إلى الشارع يعدو به..

وما أن وصلا إلى الشارع حتى انهال عليه والده ضربا وتعنيفا بقسوة لم يعهدها من والده.. تورم وجهه ونزف دما من مناطق عدة في جسده..كان شعورا طاغيا من المهانة يستولي عليه.. وأفزعته فكرة أن يعود ثانية إلى المسجد.. بعدها حرص على أن يتهرب من الذهاب إلى المسجد بصحبة والده.. لكن التهرب لم يعد مجديا.. وقد أصر والده على اصطحابه هذه المرة.. أخرجه نداء والده عليه من أفكاره..

أنهى الحمام مسرعا.. وارتدى ملابسه وغادر الشقة مع والده في اتجاه المسجد بعد أن وضع خطة لتجاوز هذه الأزمة.. دخل

المسجد بصحبة والده وجلس في الصفوف الأولى كعادة الوالد الدائمة.. قبل الصلاة بوقت قليل انتهز فرصة انشغال والده عنه.. قام مسرعا واتجه إلى دورة المياه وأخرج ما في مثانته من بول تماما..

توجه إلى مكان الوضوء.. راقب المتوضئين.. انتظر حتى حضر أحدهم متأخرا للوضوء.. سارع بالوقوف إلى جواره وفعل مثلما يفعل الرجل تماما.. سارع بالتوجه نحو مكان والده..

صحيح أنه كان يمكن له أن يسأل والده عن طريقة الوضوء.. لكن الإجابة المتوقعة ستكون كفا يصفع وجهه ويوقعه أرضا.. لهذا أعمل تفكيره واستغل ذكاؤه.. نودي للصلاة فأداها وشعر براحة كبيرة بعدها..كانت تلك هي صلاته في جماعة للمرة الأولى منذ فعلته القديمة..

شعر برضاء والده عنه بعد انتهاء الصلاة.. حيث نقده الوالد نقودا وسمح له بالذهاب للعب.. كان أول ما فكر فيه هو التوجه لمنزل كاترينا.. دخل وأخبرها بفرحة أنه استطاع أداء الصلاة في المسجد..

فرحت به كاترينا.. وأعدت له كوب عصير.. أخذت تداعبه بمودة وهو يحكي لها كيف فكر ودبر واستطاع أن يؤدي الصلاة وفي نفس الوقت ينجو من علقة الوالد..كانت فرحة كاترينا تعادل فرحته.. ولم لا.. وكاترينا كانت هي الملجأ الذي هرب إليه بعد العلقة التي نالها صغيرا..

وهي التي داوت جروحه وسهرت لتطبيب آلامه بعد أن أصابته جراء العلقة حالة من الحمى جعلت والدته تسمح له بالبقاء في منزل كاترينا حتى تخف جروحه.. ما أن انتهى من شرب العصير حتى سمع أصوات أقرانه يلهون خلف منزل كاترينا فسارع بالتوجه إليهم واللعب معهم.

obeikan.com

obeikan.com

## ( ٦ )

قرر أن يذهب لملاقاة صديقه طلعت.. ربما حظي بفرصة لقاء سامية التي تسكن أسفل شقة طلعت..كل ما كان ما يقلقه هو سلم بيت المِقدِس (والمِقدِس كلمة تطلق على المسيحي الذي أدى فريضة الحج إلى القدس مثل الحاج) وهو مالك البيت حيث يسكن طلعت.. كان السلم غارقا في الظلام دائما.. لكن مرأى سامية كان كفيلا بإزالة أي تردد داخله..فعزم أمره وتوجه في طريقه إلى بيت المقدس..

صعد السلم المظلم.. اصطدم أثناء صعوده بشخص ما.. اضطر إلى النزول إلى حوش السلم حتى يتبين ملامح من اصطدم به.. عرف أنه صلاح ذلك الشاب الرياضي الذي



obeikan.com

يسكن في الشارع الخلفي..

اعتذر له صلاح عن الاصطدام به.. عرض عليه صلاح المساعدة في تخزين أقفاص الجريد داخل منور بيت المقدس المظلم.. فرح جدا واعتبرها مهمة مقدسة.. يتشارك مع شباب الحي بها لأول مرة حيث يقومون بتخزين الأقفاص استعدادا لحرقها ليلة شم النسيم.. وما أن ترتفع ألسنة اللهب إلى أقصى مسافة في اتجاه السماء يقومون بوضع دمية من القماش داخل النيران لتحترق..

كان اختيار الشباب لمنور بيت المقدس هو الظلام الذي يقبع فيه السلم دائما ويمنع أي أحد من رؤية ما هو موجود بداخل المنور.. وبذلك تكون الأقفاص الجريد في مأمن من الشرطة التي تشن حملات دائما قبل موعد شم النسيم لمنع الحرائق.. وفي نفس الوقت تكون الأقفاص في مأمن من شباب الحارات والشوارع الأخرى حيث انتشرت ظاهرة سرقة الأقفاص أخيرا بين الحارات والشوارع حتى يتباهى كل شارع أو حارة بأن حريقه كان الأكبر في تلك الليلة..

كان المطلوب منه أن يتدلى عن طريق شباك السلم إلى المنور ليرتب الأقفاص بطريقة معينة حتى لا تأخذ حيزا كبيرا.. وفي نفس الوقت حتى يمكن إخراجها عند الحاجة إليها بسهولة ويسر.. أنهى المهمة بمنتهى الحرفية التي جعلت الشباب وصلاح يثنون عليه فازدادت ثقته في نفسه..

غادرهم وصعد السلم باحثا عن طلعت متحينا آية بادرة قد تلوح من ناحية بيت سامية تكشف عن وجودها.. طرق باب شقة طلعت وعلم أنه غير موجود.. نزل السلم وفوجئ بباب شقة سامية مفتوح..

نظر فوجدها جالسة في صالة الشقة.. دعته للدخول فهو صديق طلعت جارهم ودائما ما يدخلون إلى شقة سامية لمعاونة شقيقها الأصغر في بعض الدروس.. قدمت له سامية مشروبا وأكملت أعمالا كانت بيدها.. أخذ يتفرس في مفاتن سامية البادية أمامه..

لفت ذلك نظر سامية فاعتدلت وتوجهت إليه.. شعر بحرج واحمر وجهه وود لو غادر المنزل مسرعا لكن سامية عاجلته

بالوقوف أمامه فقطعت عليه الطريق.. ازداد ارتباكه فضحكت سامية ضحكة عالية الصوت.. شعر بحرج موقفه فغادر مسرعا دون أن يقول لها كلمة.. كانت سامية تكبره بأربعة سنوات لكنها في عمره هذا الذي يقترب من الثانية عشرة قد تشكل السنوات الأربع فارقا كبيرا.

obeikan.com

## ( ٧ )

في الليلة الموعودة للحريق تجمع شباب الحي انتظارا للحظة الصفر.. كان المطلوب منه أن يقبع ساكنا في المنور حتى يأتيه أحدهم فيبدأ بإخراج الأقفاص الجريد..

مع اقتراب الليل سمع إيقاعات موسيقية مصحوبة بتصفيقات على الأكف لضبط الإيقاع وما هي إلا لحظات حتى انطلقت آلة السمسمية تصاحبها أصوات الرجال وهم يغنون:

**(الليلة ليلة جميلة.. مفرحة ومشجية..**

**غنت فيها الطيور.. ويا الصحبجية..**

**وما فيش لينا انسجام.. زي الليلة ديه..)**



obeikan.com

كان يستطيع تخيل الصورة في الشارع في ذلك الوقت.. الرجال وقد اصطفوا بشكل حلقة وفي وسطهم يقف المغني.. مجموعة من الفتيات الصغار يقفن في الشرفات بصحبة أمهاتهن في حالة من المرح..

بينما الفتيات الأكبر سنا مشغولات بتلوين البيض بأشكال وألوان مبهجة.. والشباب يشيعون في الشارع حركة ونشاطا استعدادا للحظة البدء بهذا الطقس الأسطوري المحبب للقلوب والذي ينتظرونه من العام للعام..

ود لو كان بالخارج يشارك في تلك اللحظة.. لكنه آثر أن يكتم مشاعره انتظارا لهذه المشاركة التي تضعه في صفوف الشباب وتعلي من شأنه في وسطهم..طال انتظاره حتى قارب الوقت منتصف الليل ثم سمع النداء المتفق عليه فبدأ في إخراج الأقفاص..

وما أن أتم مهمته حتى كان في وسطهم في الشارع يشاركهم الفرحة بأنهم استطاعوا تنفيذ أكبر حريقة يمكن أن ترى ألسنة لهبها من أبعد مكان في المدينة.. وتعالت أغاني الأطفال:

## يا تربة يا أم بابين.. وديتي الألنبي فين..؟

تجاوب الجميع مع النداء وكان ذلك إيذانا ببدء إحضار الدمية.. كان هو أسرعهم ونزل المنور وأحضر الدمية التي تلقفتها الأيدي مصحوبة بالغناء:

**يا ألنبي يا ابن ألمبوحة.. مين قال لك تتجوز توحة..**

**يا ألنبي يا ابن ألمبوحة.. ومراتك عايقة وشرشوحة.**

كان الغناء بمثابة تجريسة للألنبي دار خلالها الشباب وهم يحملون الدمية حول النيران دورات عدة.. ألقى الشباب الدمية في النيران التي ازدادت توهجا مثيرة في النفوس كل الإثارة والجراءة.. وتعالت الأغاني في نفس الوقت الذي كان بعض جنود الشرطة الذين ظهروا فجأة يسعون لإطفاء الحريق.. والقبض على مشعلوه..

أثار ذلك التصرف حالة من الفوضى فجرى بعض الشباب يمينا وبعضهم يسارا وجرى الجنود خلفهم.. لكن الشباب نجحوا في الاختباء.. عاد الجنود وعملوا على إطفاء الحريق بتفريق الأقفاص المشتعلة.. فهدأت النيران قليلا.. وانصرف

الجنود.. بحثا عن حريق آخر في شارع آخر بدأ الشباب الآخرون في إشعاله

بحث صلاح عنه فوجده أسفل نافذة أحد البيوت واقفا يراقب.. أشار إليه صلاح فجرى حتى وصل إلى بيت المقدس.. وأحضر بواقي الأقفاص.. وأعاد صلاح ترتيب الأقفاص فاشتعلت ألسنة اللهب وارتفعت.. عاد الجنود مرة أخرى ومعهم ضابط.. فارتفعت الأغاني مرة أخرى:

**يا حليلة.. يا حليلة.. هنروح السجن الليلة.**

ووسط الصيحات والهتافات حاول الضابط الإمساك ببعض الشباب.. لكنهم نجحوا في الإفلات منه.. في نفس الوقت الذي تمكن فيه الضابط من الإمساك بصلاح.. لكن صلاح تمكن من السيطرة على الضابط.. ورفعه عاليا والقى به في النيران.. ارتفعت الأصوات حادة:

**يا حليلة.. يا حليلة.. هنروح السجن الليلة..**

ترك الجنود ما بأيديهم من شباب.. وأخذ الشباب يسرعون العدو في اتجاهات متباينة.. وعمت الشارع الفوضى..وسارع

الجنود بإنقاذ الضابط الذي لم تصبه إلا بعض الحروق في ملابسه.. أطلق الضابط طلقة نارية في الهواء.. فسكت الشارع مرة واحدة وكأنه هجره سكانه..

اختفى الواقفون في الشرفات.. وأطفأت الأنوار في النوافذ مرة واحدة.. وعم الشارع الصمت التام.. ذلك الشارع الذي كان يعيش طقسا خاصا به مليئا بالبهجة والغناء والنيران المشتعلة والأصوات الصادحة بالغناء.. اختفت كل مظاهر البهجة.. واكتست السماء بسحابة كثيفة من الدخان الأسود ظللت المدينة تماما.. ومعها اختفت مظاهر الحياة.. تلفت الضابط حوله بحثا عن من كانوا يشعلون النيران منذ دقائق فلم يجد أحدا..

انتهت ليلة الاحتفال بكل ما حملته من مظاهر.. لكن حادثة إلقاء الضابط في النيران لم تنتهي.. في الصباح الباكر كانت رائحة الحرائق مازالت تفوح في الأجواء كافة.. ويمكن لأي أحد أن يتشممها في أي مكان حتى داخل المنازل..لاحظ الجميع وجود عدد من المخبرين السريين يجوبون الشارع بحثا عن أي معلومة تؤدي إلى القبض على الفاعل.. التزم الجميع الصمت..

ولم يمكن الوصول إلى صلاح..

مارس الجميع حياتهم كالمعتاد وتلاحظ لديهم وجود شرطي سري بصفة دائمة على أول الشارع.. كان وجود الشرطي السري بمثابة إنذار بأن الشرطة قريبة وموجودة بقوة وستلقي القبض على الفاعل إن آجلا أو عاجلا.. لم يغير وجود الشرطي من سلوك السكان..

ففي صباح أول يوم جمعة علت أصوات النسوة في المنور وضحكاتهم كالعادة.. مما دفعه للصعود من سلم المنور ومراقبة النسوة كما يفعل دائما.. لم يكن غرضه التلصص عليهن قدر ما كانت تبهجه الضحكات الصادرة بلا حسيب أو رقيب..

دار حديث النسوة المكرر حول الليلة الماضية وسط ضحكات وإيماءات.. صعد إلى آخر السلم وعن طريق السطوح عبر إلى السطح المجاور بغية الوصول إلى صلاح..

وجد صلاح مختبئا في حجرة الغسيل أعلى السطح.. استفسر صلاح منه عن الأوضاع في الشارع.. وفهم أن هناك شرطي

obeikan.com

سري موجود للمراقبة باستمرار في الشارع يتم تبديله في ورديات متتابعة..

طلب منه صلاح التوجه لسامية حاملا رسالة لها.. كان الجميع يعلمون بقصة الحب التي تربط بين صلاح وسامية.. وإن كانت هذه القصة لم تمنعه من محاولة التودد لسامية.. ووجدها فرصة أن يرى سامية..

أخذ الرسالة وتوجه إلى سامية مباشرة.. وفهمت منه سامية الرسالة.. وعرفت مكان اختباء صلاح.. أعطته سامية قطعة من الحلوى.. وانصرف من عندها تاركا إياها تدبر وسيلة للوصول إلى صلاح..

توجه إلى منزله فلم يجد أحدا بالمنزل فهم أن والده قد ذهب إلى عمله.. ووالدته ذهبت لإحضار حاجيات الطعام.. فكر أن يذهب إلى منزل كاترينا.. فوجد الباب مغلقا من الخارج..

دار حول البيت دورة كاملة فوجد الرجل العجوز يقرأ الجريدة.. جلس إلى جوار الرجل العجوز ساكنا عله يجد عنده إجابة لأمور تشغله.. لم يلتفت الرجل إليه.. نظر إلى الجريدة بيد الرجل

فوجدها صفحات بيضاء تماما..

سأل الرجل:

-ماذا تقرأ..؟ الجريدة لا يوجد بها أية كتابة..؟

لم يلتفت إليه الرجل بيد أنه قال وهو ينظر إلى الجريدة:

-وأين هي الجريدة..؟

-في يدك.. كل يوم أراك وأنت تقرأ فيها وأنت جالس في مكانك أمام البيوت..!

نظر الرجل أمامه وكأنه ينظر إلى فراغ:

- بيوت.. وناس.. عن أية بيوت وناس تتكلم..؟

وقف وهو يشير بيديه إلى البيوت حوله:

-هذه البيوت.. والناس.. الناس الذين أحادثهم في كل لحظة.. الناس الذين أعيش أنا وسطهم.. أبي وأمي وكاترينا وسامية وصلاح والسيدة اعتدال.. كل الناس.. كل الناس..

التفت إلى الرجل العجوز فلم يجده.. تلفت حوله فلم يجد له أثرا.. نظر إلى البيوت فوجدها ساكنة.. جلس على الرصيف

وأسند ظهره إلى الحائط.. تساءل:

-ماذا يحدث لي..؟ وكيف يحدث..؟ أرى نفسي أحيانا طفلا في الثانية عشرة.. وأحيانا أخرى شابا في العشرين من العمر.. وأعود الآن إلى عمري الحقيقي.. كيف يحدث هذا.. أأعيش أحداثا عشتها من قبل..؟.. كيف يمكن ذلك..؟ هل عبرت إلى فجوة زمانية مكانية..؟ ربما.. قرأت مرة أن هذا يمكن أن يحدث.. أن يعود الإنسان في الزمن.. لكن كيف..؟ ربما عندما دخلت في الدوامة الهوائية على مدخل الشارع.. حتى هذه الفرضية - بفرض حدوثها - تخالف ما يحدث.. فلقد عبرت أكثر من فجوة زمكانية.. ربما تكون أزمنة قد اختلطت وشكلت دوامات زمانية انزلقت إليها.. ولكن كيف الخروج منها.. وكيف دخلت إليها.. ولماذا انزلقت بداخلها.. كيف..؟ كيف..؟

أخذت الأسئلة تتصاعد وتتداخل وتضرب رأسه في عنف وحدة أعجزته عن التفكير.. شعر برأسه يكاد ينفجر من كثرة الأسئلة التي تبحث عن إجابة.. أسند رأسه إلى الجدار جواره.. وأغمض عينيه.. وراح في سبات عميق.

obeikan.com

## ( ٨ )

استيقظ الشارع كله على صوت طلقات رصاص.. الطلقة الأولى لم يعرف مصدرها.. مع الطلقة الثانية أشار أحدهم إلى السطوح فهرعوا جميعا يعتلون السلالم في محاولة للوصول إلى السطوح..

كانت هناك مطاردة على السطوح ما بين ضابط من ناحية.. وشخص يحاول أن يهرب منه من ناحية أخرى.. أيقن الجميع أنه صلاح.. نظر الضابط حوله فوجد حشدا كبيرا من الناس على أسطح المنازل المحيطة به فأطلق طلقة تحذيرية في الهواء مصحوبة بنداء على صلاح بأن يسلم نفسه..

obeikan.com

لحظات وكان صلاح يخرج من خلف تقفيصة الفراخ رافعا يديه في استسلام والدم ينزف من ساقه بغزارة بعد أن أصابته إحدى الطلقات في ساقه.. حاول أن يتقدم خطوة لكنه سقط على الأرض بفعل الإصابة.. نظر الضابط للجمع الموجود حوله.. ود الضابط لو يطلق رصاصة على رأس صلاح.. لكن الجمع الموجود على السطوح شكل عائقا أمام الضابط.. وضع مسدسه في جرابه وأرسل في طلب الإسعاف..

لحظات وكانت سيارة الإسعاف قد حضرت أسفل المنزل.. وصعد المسعفون ومعهم النقالة إلى السطح.. وضعوا صلاح على النقالة.. وبادرهم الضابط:

-اذهبوا به إلى المستشفى الأميري.

حمل المسعفان صلاح وهبطا به.. وما أن تم وضعه في سيارة الإسعاف حتى تعلق بيد المسعف راجيا متوسلا نقله إلى المستشفى العسكري.. حار المسعف في تفسير سلوك صلاح فإسعافه سوف يتم في أي مستشفى.. لكن المسف أمام إلحاح صلاح وتوسله نظر إلى زميله الذي أشار له إشارة معناها لا

مانع..

توجهت سيارة الإسعاف إلى المستشفى العسكري.. حاول الضابط النوبتجي منع السيارة من الدخول إلى المستشفى لأن هذه الحالة ليست لرجل عسكري.. تشبث صلاح بيد الضابط النوبتجي وهو يكاد يقبلها بأن يقبل دخوله وعلاجه داخل المستشفى.. نظر الضابط النوبتجي لصلاح نظرة فاحصة..

أيقن منها خوف صلاح من التوجه لأي مستشفى آخر فأمر بإدخاله إلى العمليات على الفور.. وعلى مسئوليته الشخصية.. ما أن سمع صلاح بهذا حتى راح في غيبوبة لم ينتبه منها إلا وكانت الجراحة التي أجريت له لاستخراج الرصاصة قد تمت..

تفاوق صلاح فوجد الضابط الطبيب يقف إلى جواره يقيس وظائفه الحيوية. ابتسم له صلاح شاكرا.. فأخبره الطبيب بأن هناك زائر ينتظره في الخارج.. وبأن الطبيب سوف يعود بعد قليل.. انصرف الطبيب في لحظة دخول سامية.. حاول صلاح أن يتحرك.. أسندته سامية.. وآخذا يتحدثان حديث العاشقين.

فهم صلاح من الضابط الطبيب بأنهم في المستشفى قد

كلفوا وحدة التحريات العسكرية بالبحث خلف سبب إصابته بالرصاص.. وبورود المعلومات فإنهم قد استشعروا بأن ضابط الشرطة يضمر الشر لصلاح.. ولهذا تم وضعه تحت الحراسة.. وتم استدعاء النيابة العامة إلى المستشفى لعمل المحضر الخاص بإطلاق النار..وكذا المحضر الخاص بإلقاء صلاح للضابط في النيران أثناء ليلة شم النسيم.. وذلك بعد تسليم النيابة محاضر التحريات حول الواقعة.

ومع انتهاء التحقيقات وتصالح الضابط مع صلاح.. بعد تنازل الضابط عن شكواه.. وتنازل صلاح عن المحضر الذي تم تحريره في المستشفى العسكري..تم نقل ضابط الشرطة إلى موقع عمل آخر.. ومع اكتمال شفاء صلاح وعودته إلى الشارع من جديد استقبله أهل الشارع بالكثير من مظاهر الفرح.. وسهروا ليلتها يرقصون على أغاني السمسمية التي يجيد الجميع الرقص على أنغامها.

وانتاب الجميع حالة من البهجة حين شاركتهم كاترينا الرقص.. ووزعت اعتدال زجاجات البيرة على الجميع.. وأحضر أصدقاء صلاح الحشيش بكثرة.. كانت الفرحة بشفاء

صلاح تعم جميع البيوت عدا بيت الأستاذ عبد العزيز الذي وصف الغناء والرقص وشرب البيرة في الشارع بالمسخرة.. وأصر على إغلاق النوافذ حتى لا تسمع زوجته أو ابنه هذه المساخر من وجهة نظره.

لم تمر أشهر طوال على هذه الحادثة.. إلا وكان صلاح قد عقد قرانه على سامية.. سهر الشارع ليلتها للصباح.. وكان صلاح قد أصر على أن يعقد قرانه قبل أن يذهب إلى التجنيد.. كان هناك العديد من شباب الشارع يستعدون للذهاب إلى التجنيد وقضاء فترة التجنيد الإجباري..

رقص الشباب على أنغام السمسمية كعادتهم في تلك المناسبات.. ود أن يشارك الشباب الفرحة والرقص.. لكن تعليمات الأستاذ عبد العزيز الشربيني فرضت عليه الاستماع إلى الموسيقى من خلف الشباك المغلق. ود أن يكسر هذا الطوق الذي فرضه عليه والده ليخرج يستمتع ويلهو.. لكنه خشي أن ينحو والده باللائمة على والدته متهما إياها بعدم تربيته.. آثر السلامة وقرر أن يشاهد من خلف النافذة المغلقة

obeikan.com

## ( ٩ )

استيقظ على نداء من شقة بالدور العلوي.. كانت سامية قد لاحظت نومه في البدروم.. أسرع صاعدا إليها.. استقبلته سامية بترحاب وابتسامة.. قدمت له طعاما وشرابا.. كانت سامية تشع جمالا وحياة وهي تتحرك في أرجاء المنزل أمامه..

أحضرت مظروفا مغلقا وطلبت منه أن يرسله بالبريد.. أسرع عدوا على السلم.. في الشارع نظر إلى اسم المرسل إليه.. كان الاسم صلاح.. في الطريق قابل كاترينا.. علم أنها ذاهبة لمكتب البريد لصرف بعض النقود.. حمل عنها حقيبتها.. وأنهيا المأمورية في مكتب البريد.. عاد مع كاترينا التي أدخلته المنزل وقدمت له بعض المشروبات..



obeikan.com

تركته على الأرجوحة المصنوعة من شباك الصيد والمنصوبة بين شجرتين بحديقة المنزل.. تستخدمها أحيانا كأرجوحة.. وأحيانا أخرى كسرير تنام عليه في الليالي الصيفية..وتوجهت للداخل لإنهاء بعض الأعمال.. تحركت به الأرجوحة قليلا فاستولى عليه نعاس خفيف.. استسلم له.. أيقظته كاترينا فأسرع بالعودة إلى المنزل خشية العقاب من والده الأستاذ عبد العزيز..

كان ينتظر ساعي البريد على أول الشارع.. وما أن يعلم أنه يحمل خطابا لسامية إلا ويسارع بأخذ الخطاب والصعود سريعا على سلم بيت المقدس المظلم دائما.. يمنح سامية الخطاب.. ويتلقى منها ابتسامة شكر.. كانت ابتسامتها تسعده وكانت الخطابات التي يحملها إليها من صلاح تسعدها..

في هذه المرة حمل الخطاب وهو يمني النفس بالابتسامة وربما كلمة شكر.. طرق الباب وفتحت سامية.. تناولت الخطاب وشكرته بابتسامتها المعهودة.. لكنه لم يتحرك.. فتحت سامية الخطاب وما أن وقعت عيناها على سطوره حتى شعرت بأن الأرض تميد من تحتها.. وفي لحظة كانت ممددة على الأرض..

انتابته الحيرة ماذا يفعل.. سارع وحمل سامية بين ذراعيه وهبط بها إلى الشارع.. عاونه بعض الرجال واستدعوا لسامية الإسعاف الذي قام بنقلها إلى المستشفى.. علم الجميع أن صلاح استشهد أثناء مهمة عسكرية..

انتابت الشارع حالة من الحزن الشديد.. خاصة بعد أن علم الجميع أن سامية قد أصيبت بحالة شلل تام وعدم قدرة على النطق.. في الصباح عرض على كاترينا أن يرافقها أثناء زيارة سامية.. حمل عنها حقائب الزيارة وخطواته تسبق خطواتها.. وأدركت كاترينا أنه لا يصحبها فقط أثناء زيارة سامية.. ولكنه يشارك كل السيدات زيارتهن لسامية ويحمل عنهن الحقائب..

فهمت كاترينا أنه يكن شعورا خاصا لسامية.. ولهذا حرصت على أن توجه نظره لخطورة ما يفعل.. يجب ألا تتعلق سامية بأي أمل كاذب.. ربما يزيد هذا من آلامها.. حاول أن يدافع عن حبه لسامية.. فقاطعته كاترينا بأن الأمر لا يتجاوز رغبة لمراهق في فتاة.. وهي كاترينا تلمح هذه النظرة الشبقة في عيونه كلما نظر لإحدى سيدات الشارع..

أوضح لكاترينا أنه كبر ويستطيع أن يقيم مشاعره جيدا.. لكنها سخرت منه.. وقبل أن يحتدم الصراع كان الأطباء قد اتخذوا قرارا بسفر سامية إلى إحدى المناطق الجافة.. ربما ساعدها الهواء هناك على سرعة الشفاء.. ووجدها والدها فرصة.. ونقل أسرته جميعها إلى مسقط رأسه.. وهكذا انقطعت أخبار سامية عن الشارع.. ولم يعد هناك مبرر للشجار بينه وبين كاترينا.

obeikan.com

## ( ١٠ )

واعدته كاترينا أن يذهبا للسباحة في البحر في اليوم التالي.. كانت قد اصطحبته معها في جولة للتسوق.. حمل لها الأكياس الورقية التي عبأ لها التاجر حاجياتها فيها.. ترك كاترينا عند باب منزلها وأسرع إلى بيته ليأخذ الإذن بالذهاب غدا مع كاترينا إلى شاطئ البحر..

كان يعلم أن والدته لن تمانع فكاترينا من وجهة نظرها تعامله معاملة الأخ الأصغر.. كانت المشكلة والده الذي يحرص على تواجده بالمنزل قبل آذان المغرب..

كان دائما يردد أن الشاب الذي يسهر خارج البيت لما بعد ذلك

تفسد أخلاقه.. ولأنه يعلم أن كاترينا تحب رؤية لحظة الغروب فقد بذل جهدا كبيرا ليقنع والدته بالتوسط لدى والده ليسمح له بالتأخر لما بعد المغرب..

بذلت والدته جهدا جبارا في إقناع الوالد.. لكن الأستاذ عبد العزيز كان صلب الرأي لا يحيد عن قول قاله مهما توسط آخرون.. وهكذا قضى ليلته يحسب كيف يوفق بين أوامر والده.. وبين رغبة كاترينا.. لم يستطع التوصل لحل وغلبه النوم فنام..

استيقظ فجرا.. وأعد حاجياته وأسرع مغادرا إلى منزل كاترينا.. حمل المظلة وعمود المظلة.. وكرسيان من النوع المداد.. ووضع في اليد الأخرى حقيبة بها بعض مستلزمات اليوم.. حملت كاترينا حقيبة بها طعام وشراب.. وأغلقت الباب وتوجها نحو الشاطئ.. على الشاطئ فرد المظلة والكراسي.. ووضع الحقيبة.. أخرجت كاترينا طعاما وشرابا.. وجلسا يتناولان الطعام..

كانت هناك بعض المظلات المفرودة على الشاطئ ولكنها متباعدة تتيح لكل أصحاب مظلة مساحة من الخصوصية..

ومع ارتفاع درجة حرارة الشمس وقفت كاترينا وخلعت الفستان الذي ترتديه فأصبحت ترتدي المايوه..

نظرت إليه وضحكت.. وأسرعت إلى مياه البحر تلقي بنفسها بداخلها.. لم يستغرقه التفكير طويلا.. فقد خلع ملابسه وأصبح مرتديا المايوه وأسرع إلى مياه البحر محاولا اللحاق بكاترينا.. ما أن اقترب من كاترينا حتى شعر بعمق المياه أسفل قدميه فعاد أدراجه إلى المنطقة الآمنة حيث تلمس قدماه رمال البحر.. ضحكت كاترينا منه وشجعته على العودة ثانية إلى مكانها..

وحين أدركت أنه لا يجيد السباحة توجهت إليه وأمسكت بيديه وعلمته الحفاظ على توازنه داخل المياه.. أخذت تسبح بجواره وهو يحاول أن يوازن نفسه بالطريقة التي علمته إياها. نظر ناحيتها فلم يجدها.. أخذ يتلفت أين ذهبت وفجأة شعر بمن يرفعه في الماء من بين ساقيه.. حاول أن يتوازن.. فوجد نفسه محمولا على أكتاف كاترينا وهي تسبح به ضاحكة..

أنزلته في الماء وأخذت تتحدث معه.. كان قربها منه فرصة له

ليتأمل صدرها الذي تشوبه حمرة وجسدها المليء بالنمش.. شعرت كاترينا بنظراته تخترق جسدها فرشت على وجهه بعض الماء.. وأسرعت خارجة من الماء..

أزال الماء عن عينيه.. ونظر ناحية كاترينا وهي خارجة فوجد جسدها مثيرا جدا.. وكانت تلك المرة الأولى التي يشعر فيها بهذه الغريزة تتحرك ناحيتها.. خرج من الماء وتوجه ناحية المظلة.. نظرت كاترينا بطرف عينيها ناحيته فوجدت العلامة التي أثارت في نفسها بعض الظنون لكنها لم تحسمها..

جفف جسده بالمنشفة.. وتمدد على الكرسي.. مرت لحظات تبادلا فيها الكلام في مواضيع شتى.. تناولا طعاما وشرابا.. وكانت كاترينا مازالت متشككة في إحساسه بها.. قررت أن تنزل المياه مرة أخرى.. ألقت عليه بعض الرمال وأسرعت إلى مياه البحر..

أسرع خلفها ليلقي عليها الرمال.. لكنها غطست في الماء فلم يستطع أن يصيبها بالرمال.. وقف حائرا يبحث عنها.. ظهرت من خلفه وقد أمسكت برأسه وغطستها في مياه البحر.. تركته

سريعا وأسرعت إلى داخل المياه.. أسرع خلفها حتى وصل إلى حدود المنطقة الآمنة بالنسبة له..

عادت إليه تاركة مسافة بينهما متجاذبة الحديث معه.. ضحكا.. وأخذا يستمتعان بالمياه التي تجري من حولهما.. علمته أن ينام على ظهره على سطح المياه.. ازدادت سعادته حين تمكن من فعل ذلك..

تظاهرت بالسباحة إلى جواره.. وتعمدت لمسه بيدها فتأكدت من صدق ظنونها.. لقد كبر الفتى الذي كان صغيرا.. وأصبحت له حاجيات.. ابتسمت ابتسامة خفيفة.. ونامت على ظهرها على سطح الماء إلى جواره.

خرجا من الماء وتجولا على الشاطئ يتحدثان.. تناولا بعض المشروبات الدافئة.. وتناولا بعض المثلجات.. ومع موعد الغروب كانت كاترينا حريصة على أن يسيرا في اتجاه الغروب وكأنها تريد أن تستبقي الشمس أطول فترة ممكنة..

لكنها ما لبثت أن غربت في الأفق البعيد الممتد أمامهما.. فكان عليهما العودة ثانية لمكان المظلة.. جمعا حاجياتهما..

obeikan.com

وأسرعا بالمغادرة.. وصلا إلى منزل كاترينا والساعة تقترب من التاسعة مساء.. أدخل المظلة والكراسي والحقائب.. وأخذت كاترينا ترتب الأشياء..

شعرت كاترينا بحيرة تنتابه.. سألته فحكي لها عن موقف والده وما قاله عن عدم التأخير.. استفهمت منه كيف سيتصرف فقال لها أنه سيبيت الليلة خارج المنزل.. لأنه لو عاد الآن فسيصر والده على عدم مبيته في المنزل نتيجة التأخير الذي حدث..

وسيذهب إلى المنزل نهارا بعد أن يذهب والده إلى العمل.. وسيترك لوالدته تدبير الأمر مع والده.. لم تعر كاترينا الأمر أي أهمية.. وقالت له أنه يمكنه أن يقضي الليلة لديها ثم يتصرف في الصباح.. استأذنت كاترينا أن تأخذ دشا لتزيل ملوحة البحر عن جسدها..

تركته وانصرفت.. ولكنها عند عودتها كانت ترتدي روبا مغلقا بلا عناية.. عرضت عليه أن يقوم ليأخذ حماما يزيل المياه المالحة عن جسده.. تردد لكنها أصرت.. ما أن وضع الصابونة على رأسه في الحمام حتى وجدها واقفة أمامه.. ارتبك

فضحكت ساخرة منه لأنه لا يعرف كيف يستحم..

وعرضت عليه أن تساعده وتعلمه.. أحضرت صابونة كبيرة وأخذت تدلك بها رأسه حتى شكلت كمية كبيرة من الرغاوي.. وأخذت الرغاوي ووضعتها على وجهه.. وأخذت تدلك جسده بالصابونة حتى وصلت مابين فخذيه.. شعرت بالرغبة تجتاحها.. فأوقعت به أرضا وهي ممسكة به..

حاول أن يزيح الصابون عن عينيه فمنعته بيدها.. خشي أن يفتح عينيه فيدخل فيهما الصابون.. أخذت تدلك جسده بالصابونة وهي تحادثه ضاحكة.. شعر بقدميها يحيطان بجسده وبحركتها تزداد حدة مع قيامها بغسيل جسده.. إحتك جسدها بجسده في أكثر من موضع..

شعر بأن الروب الذي ترتديه قد تبلل أو انفتح.. ازداد ضغط جسدها عليه شدة.. وشعر بفخذيها يكادان يسحقانه.. وهي تتحرك بكل قوة على جسده..وتخرج أنفاسا لاهثة بفعل المجهود الذي تبذله.. وتحولت الأنفاس إلى أصوات كأنات مكتومة..ثم ندت عنها أنَّة واحدة طويلة كأنها صرخة مكتومة.. أعقبتها

رجفة اجتاحتها وشعر بها تهز جسده.

وفي اللحظة التالية شعر بارتخاء حركة يديها على جسده.. شعر بها تبتعد عنه..حاول أن يقف فوجد نفسه يقف بسهوله.. وضعت الماء على رأسه وأزالت الصابون.. نظر إليها فوجد الروب مبللاً.. لكنه محكم الغلق.. قالت له أن يكمل إزالة الصابون عن جسده ويرتدي ملابسه..

فعل مثلما قالت وخرج من الحمام شاعرا بأن شيئا ما فيه قد تغير..قضيا الليلة في حديقة المنزل.. كان بها إريكة عريضة وأمامها ما يشبه السرير أو الأرجوحة مصنوعة من شباك الصيد ومربوطة بين شجرتين..تمددت على الأريكة كاترينا.. ودعته للجلوس جوارها..

تحدثت معه كاترينا في أمور شتى.. وتركته يحكي ما يجول بخاطره.. وهي تسمع لكل ما يقول – عفويا كان أم طفوليا – بطيب خاطر.. وتتحسس شعره بيدها بينما تتكئ على اليد الأخرى ناظرة له..

هدأت الأصوات في الشارع تماما.. وتصدر القمر صفحة

السماء في اللحظة التي جذبته كاترينا ناحيتها لتلقنه الطريقة المثلى للقبلة.. كانت كاترينا قد فعلت ما فعلته بالحمام كنوع من الاختبار لمدى نضجه الجسدي.. لكنها بعد أن تأكدت اتخذت قرارا بأن تدخله عالم الكبار بوعي وإدراك..كانت القبلة الأولى في حياته فاندفع حتى كاد يدمي شفتيها..

تراجعت متألمة ونبهته لأهمية الشعور بالفعل.. وأدخلته التجربة كاملة.. كانت مشاعره بكرا بالنسبة لها..وجدته تربة صالحة تغرس فيها فنون العشق والتدله.. وكان جسد كاترينا الذي طالما حلم به بمراهقة غير واعية.. هذا الجسد الذي طالما حلم به مراهقا ببياضه المشوب بالحمرة.. والنمش الذي يغطي جلدها.. هذا الجسد الذي تعرى له تماما هو النموذج الذي فض على أرضه بكارته..

وعبر معها إلى آفاق لم يكن يحلم بها.. ونشوة استشعرها للمرة الأولى في حياته.. كانت كاترينا منفتحة على عوالم لم يخطر بباله أن تتواجد حوله.. أدخلته عوالمها.. وعلمته في ليلة ما يحتاج غيره لسنوات لتعلمه.. متعة ونشوة مرات ومرات من امرأة لا يعني الجنس لها مجرد وسيلة لتفريغ طاقة.. قدر ما هو

وسيلة لإدراك الحياة كما تحب أن تدركها وتحياها.. واستمرت الليلة بينهما حتى الصباح.

obeikan.com

## ( ١١ )

انتهى النقاش بينه وبين والده صاخبا كما بدأ.. وكسب هو حقه في تقرير أوقاته وكيف يقضيها.. وكسب الأستاذ عبد العزيز الجولة بفرض وجهة نظره.. أصبح يبيت في المنزل في الليالي التي يعود فيها باكرا.. انتصارا لوجهة نظر الوالد.. ويقضي الليالي الأخرى لدى كاترينا مستمتعا بانتصار وجهة نظره..

كانت هي بالنسبة له فتحا جديدا لآفاق لم يتخيل وجودها قبل أن تلقنه إياها كاترينا.. تلك التي يعني الجنس بالنسبة لها متعة تتذوقها مثل الطعام والشراب وباقي متع الحياة التي تحرص على الاستزادة منها..

كان يراها إثناء إعداد الطعام أو الشراب مستمتعة إلى أقصى الحدود بالتجديد والتزيين في كل منهما.. واختلاق أصناف جديدة ونكهات متميزة لذلك..وكذلك في علاقتها به.. لم تكن تترك الفرصة لتدخل به تجربة جديدة بمذاق جديد..

تعلم منها أن العلاقة الخاصة ليست لإفراغ طاقة مكبوتة.. لكنها فرصة لتوليد طاقة جديدة تمكنهما من إقامة العلاقة.. لكنه كشرقي الطباع كانت تشغله المشاعر والعاطفة.. تلك التي شعر بها وافتقدها بغياب سامية.. وحاول أن يعوضها بعلاقته بكاترينا.. لكن كاترينا كانت عملية لا تميل للرومانسية وسهر الليالي والسهد والأرق..

دفعته تلك التناقضات بين مشاعره الحالمة والتصرفات العملية لكاترينا إلى مرحلة من الحيرة والارتباك.. حاول إن يجد حلا لكنه فشل.. كان يشعر بإشباع مستمر لرغباته ملبيا نزواتها.. لكنه كان يشعر بخواء داخلي يمزق روحه ولا يستطيع أن يشغله بأي شي..

استيقظ في الصباح على أصوات النسوة وضحكاتهم.. أسرع

صاعدا سلم المنور.. وجدهن يتضاحكن كعادتهن وهن يشبكن قطع الملابس على الأحبال الموجودة أمامهن.. تأملهن للحظة..

شعر أن ما يفعلنه ليس سوى كذبة كبرى.. وأن هذه الضحكات تعبر عن خيبة ما لكل منهن.. لم تكن ضحكات صادرة من القلب.. وقف يرقب النسوة قليلا.. لمحته اعتدال.. أشار إليها بأنه يريد أن يشرب..

أشارت إليه بدخول المطبخ.. فعل مثلما أشارت.. وقبل أن يشرب كانت قد دخلت المطبخ.. أحضرت السلم الخشبي وصعدت عليه وكررت ما فعلته سابقا بأن طلبت منه أن يتلقى منها كرتونة من على سطح الدولاب.. وقف تحت السلم ونظر إلى أعلى.. كانت اعتدال لا ترتدي آية ملابس داخلية.. تناول منها الكرتونة.. ولم يبد عليه الارتباك..

نزلت اعتدال عن السلم.. وما أن اتجهت ناحيته بدلال حتى وجدته يمسك بها ويجذبها ناحية المنضدة الموضوعة بالمطبخ.. وقبل أن تنطق اعتدال أو تفيق من دهشتها..كان قد دخل بها إلى العوالم التي فتحتها أمامه كاترينا.. وجدت

نفسها تحت تأثير الدهشة من أفعاله تذهب معه أينما شاء لها الذهاب.. ووجدت لديه أكثر مما عرفت في حياتها الماضية..

كان هذا اليوم فاصلا في حياته.. فلم يعد يصعد من سلم المنور.. ولم تعد اعتدال تعامله كطفل صغير.. تتابعت لقاءاته باعتدال.. وأخبرته أنها لم تكن تدرك هذه المتعة التي يسببها لها.. وأن علاقتها بزوجها كانت قاصرة على أفعال بسيطة لا تصل بها إلى هذا الشعور..

أدركت اعتدال أنه دخل بها مرحلة جديدة لم تجد حرجا في أن تعبر عنها لجاراتها.. وأدركت الجارات أن الصبي الصغير قد كبر.. تمنت بعضهن ما تناله اعتدال على يديه.. لكن كيف السبيل وقد اختصت اعتدال نفسها به..

كانت الضحكات تعلو في المناور.. وتتناقل الألسن الحكايات حتى وصلت إلى مسامع والدته التي نقلتها بدورها لزوجها الأستاذ عبد العزيز.. كانت والدته تظن أن والده يمكن له أن يعود به من هذا الطريق الذي تلوكه الألسن..

لكن الوالد كانت له طريقة مختلفة.. فوجد نفسه بعد أن ظن

أنه شب عن الطوق أسيرا لعلقة ساخنة من والده استخدمت فيها الأكف والقبضات والحزام الجلدي الذي ترك آثارا عميقة على جسده..

لم تفلح نصائح والدته له فوجد نفسه مرة أخرى عند كاترينا.. كانت كاترينا قد سمعت حوارات متناثرة.. لكنها لم تأبه لها.. وعندما آخذت تداوي جراحه صرح لها بكل تفاصيل ما دار بينه وبين اعتدال.. واصلت كاترينا مداواة جراحه صامتة.. وما أن انتهت حتى انسحبت بعيدا عنه..

وجلست في صمت تتناول مشروبا ناظرة إليه بين الحين والآخر.. اشتعلت داخلها أسئلة متعددة.. هي تدرك أن فارق السن بينهما الذي يتجاوز الخمسة عشر عاما.. لا تصلح لتشكيل علاقة حب.. إضافة إلى فارق المفاهيم بينهما في أمور متعددة.. لكنها شعرت بالغضب..

كانت تظنه سيكون لها وحدها.. ولم تكن على استعداد أن تشاركها إياه آية أنثى.. قررت في هذه اللحظة ألا تتخذ قرارا.. وتركته جالسا أمامها يئن بفعل الألم الذي تسببه له الجراح.

استيقظ أهل الشارع على أصوات شجار وعنف مابين اعتدال وزوجها.. كانت الروايات قد تناقلت ما حدث حتى وصل إلى الزوج الذي يعمل في تجارة البحر.. تدخل البعض من السكان في محاولة لإنهاء تلك المشاجرة.. لكن الزوج كان قد عزم قراره بترك الشارع نهائيا..

لم تجد اعتدال أمامها مفرا من الاستجابة.. وأحضر الزوج عربة يجرها حصان.. وضع عليها كل ما بالشقة من أثاث.. وسلم مفتاح الشقة وغادر بصحبة اعتدال التي بدت منكسرة وحزينة وهي تركب إلى جوار زوجها في الطريق إلى مكان غير معلوم.. انتاب السكان بعضا من مشاعر الغضب والحزن على فراق اعتدال..

لكن كاترينا التي كانت واقفة خلف شباك منزلها تراقب ما يحدث ارتسمت على وجهها ابتسامة ظافرة فور تحرك العربة.. لم يدرك أحد أن كاترينا هي التي سعت إلى توصيل وتأكيد المعلومة لزوج اعتدال..

كانت كاترينا قد حسبت الأمر في نفسها عدة مرات.. واستقر

تفكيرها على أن تبعد اعتدال عنه.. لتحتفظ به لنفسها أطول فترة ممكنه.. بررت ذلك لنفسها بأنها هي التي علمته.. ودربته.. وخططت للأمر جيدا فكان لها ما أرادت.

obeikan.com

obeikan.com

## ( ١٢ )

استثمرت كاترينا علاقتها به وفق ما خططت له.. استمتعت كما أرادت.. وكان هو طوع أمرها ملبيا لرغباتها أنى شاءت.. كانت كاترينا التي قاربت الخامسة والثلاثون تدرك رغباتها جيدا.. وتسعى لإشباعها وقتما شاءت.. وتبذل كل جهدها لإبعاده عن آية أنثى من الممكن أن يدور في فلكها.. بيد أن جهودها كادت تذهب هباء عندما انشغلت الشقة التي كانت تقطنها سامية..

كانت مديحة الجارة التي انتقلت مع أسرتها إلى الشارع حديثا في ذات الشقة التي كانت تسكنها سامية.. والتي تقاربه من حيث العمر.. وتشاركه الدراسة في نفس الكلية.. يذهبان سويا في الصباح.. ويعودان مساءا.. يتشاركان الرحلات والأنشطة..



obeikan.com

ويستذكران سويا..

وكاترينا لا تمانع هذه الصداقة.. وتعلل ما يحدث بأنه صداقة دراسة بين زميلين.. لم يقطع علاقته بكاترينا بل ازداد وجوده بصحبتها.. اصطنعت كاترينا أسبابا متعددة لتدخل البهجة إلى قلبه.. اصطحبته للتسوق مرات متعددة.. وللبحر مرات أخرى..

وفي كل مرة يبيت لديها كانت تستحدث صنوفا مختلفة للمتعة.. كانت تحدث نفسها بأنها تعلم أنه لن يكون لها في النهاية.. لكنها أيضا تسعى للحصول على أكبر قدر من المتعة معه.. حرص على أن يرتشف من معينها ما يرويه ويروي ظمأه..

أثناء عودته مع مديحة أمسك بيدها فسحبتها منه برقة.. شعر برغبة في التودد إليها لكنها ابتعدت عنه.. حاول أن يفهم منها سبب هذا الجفاء.. لم تذكر أسبابا.. صارحها بشعور ينبت داخله ناحيتها.. أشارت من طرف خفي إلى كاترينا.. حاول أن يبرر ويقدم أعذارا..

اتخذت مديحة موقفا صارما.. أشاحت بوجهها بعيدا.. وتركته

وانصرفت.. أدرك أن كاترينا ستكون حائلا بينه وبين أي فتاة يحبها.. أدرك أنها استولت عليه تماما.. ولم يعد له منها مفر أو مهرب.. توجه ناحية منزل كاترينا عاقدا العزم على مواجهتها وقطع هذه العلاقة..

استقبلته بود وترحاب.. وقبل أن ينهي مشروبا قدمته له.. كانت تخوض به ومعه آفاقًا لم يكن يتخيل وجودها.. عبرت به كاترينا مناطقَ من اللذة شعر معها أنه غادر دنيانا والتحق بدنيا من المتعة واللذة..

استلقت كاترينا إلى جواره تلتقط أنفاسها وبضع قطرات من العرق تزين جبينها.. شعرت بجفاف في الحلق فقامت تحضر مشروبا.. تذكر مديحة وتذكر سبب حضوره إلى هنا..ارتدى ملابسه مسرعا وغادر بعجالة..

تذكر أنه لم يخبر كاترينا بسبب حضوره إليها.. عاد ثانية إلى المنزل عازما على إخبارها وإنهاء علاقته بها.. وجد الباب مغلقا من الخارج بسلسلة حديدية وقفل كبير.. دار حول المنزل دهِشا باحثا عن سبب غلق المنزل.

وجد الرجل العجوز جالسا على الرصيف مسندا ظهره إلى الجدار.. اقترب منه.. جلس إلى جواره.. نظر إلى الرجل العجوز.. ملامحه مألوفة له تماما لكنه لا يذكر أين قابله.. سأل الرجل العجوز عن سبب غلق منزل كاترينا..

نظر له الرجل للحظة ثم عاود النظر إلى الأمام.. حاول أن يمسك بالعجوز ليدفعه للإجابة عن أسئلته.. فوجد نفسه يمسك الهواء.. تلفت باحثا عن الرجل.. لم يجده.. دار حول البيوت عله يجد بيتا مفتوحا..

كانت البيوت كلها مغلقة خاوية.. توجه إلى منزله.. المنزل مغلق كذلك.. توجه إلى بيت المقدس.. قفز من نافذة البدروم ببيت المقدِس.. استغرقه نوم طويل.. هاجمته فيه كوابيس متعددة.

obeikan.com

## ( ١٣ )

استيقظ على صوت طلعت يحدثه.. فوجئ به فأخبره طلعت بضرورة الذهاب معه فورا في مهمة لا تصلح للتأجيل.. ارتدى ملابسه في عجالة.. وخرج مع طلعت.. في الطريق فهم أن والد طلعت قد دخل إضرابا مفتوحا عن الطعام معتصما بمكان عمله بعد أن صدر قرار بفصله..

كان والد طلعت يعمل قيَّاسًا في إحدى شركات البترول التي تقوم بتموين السفن العابرة لقناة السويس بحاجتها من المواد البترولية.. وينحصر عمل الوالد في قياس كمية الوقود الموجودة بالتنكات لمعرفة ما تم سحبه من التانك لتعويضه.. وذلك عن طريق إدخال مقياس من أعلى التانك يشبه مؤشر قياس الزيت



obeikan.com

في السيارات لكنه أطول.. ويتم ذلك في مقر الشركة الواقع في منطقة الرسوة..

ومع التوسعات الجديدة التي قامت بها الشركة.. فقد تقرر تزويد السفن بحاجتها من المواد البترولية في عرض البحر.. ولذلك سيتم الاستغناء عن التموين عن طريق التانكات.. وبالتالي لم تعد الشركة بحاجة لهذه العمالة.. وقد قامت الشركة بتعويض العمال بمكافآت نهاية خدمة..

لكن والد طلعت يصر على أن يجدوا له عملا بديلا.. ومع تعنت الشركة ورفضها تلبية طلباته.. فقد تم التعامل معه على أنه مشاغب وتم فصله نهائيا من العمل دون أي حقوق.. وهكذا اضطر للدخول في مغامرة غير مأمونة العواقب ربما تودي بحياته.. لكنه لم يجد بديلا لهذا التصرف..

وصل مع طلعت إلى مقر الشركة.. وجد العديد من قيادات الشركة والقيادات الأمنية والجميع يحاولون إثناء الرجل عن الإضراب وتناول الطعام.. وأمام إصراره على مواصلة الإضراب فكر أحد الموجودين في الضغط عليه عن طريق طلعت.. وهكذا

وجد نفسه بصحبة طلعت مقيدين بالأغلال وتم الدفع بهما إلى إحدى سيارات الشرطة التي توجهت بهما إلى حجز للشرطة في أحد الأقسام. وتم استدعاء طلعت للتحقيق وبدء المساومة..

نظر حوله فوجد عددًا من المحجوزين بتهم متعددة.. حاول أن يفهم سبب الإتيان به إلى هذا المكان فلم يجد إجابة.. وأكد له أكثر من واحد أنهم موجودون على سبيل التحري.. وعليه أن ينتظر حتى يأتي الضابط الذي أودعه الحجز.. فهو الوحيد الذي يمكنه إخراجه من هنا..

كانت اللحظات تمر عليه ببطء.. وهو يعد الثواني في محاولة للخروج.. اقترب منه أحدهم وأخذ يُحدثه ويسأله عن سبب تواجده.. ويبدو أن الرجل أشفق عليه فأحضر له طعاما وقدمه إليه.. وبعدها قدم له شرابا.. عرض عليه بعض السجائر لكنه رفض..

أجلسه الرجل إلى جواره.. ففهم أنه أصبح في حماية هذا الرجل.. كان شكله مختلفا عن الموجودين بالداخل.. وربما كان هذا هو السبب في أن يضعه الرجل تحت وصايته.. أخذ

يتأمل المحجوزين.. بعضهم من معتادي الإجرام.. وبعضهم يبدو أنها المرة الأولى لهم في مكان مثل هذا.. مرت الدقائق بصعوبة.. لكنها سرعان ما تحولت إلى ساعات.. لم يفتح فيها باب الحجز..

ظل جالسا في مكانه يراقب ما يحدث حوله.. نقاشات تبدأ وتنتهي بين الموجودين.. كلها تدور حول أمور حياتيه.. وبعضها مظالم وشكوى من ضباط بعينهم.. أخذ يتابع الحوارات مصغيا..

فتح باب الحجز فجأة.. ودخلت مجموعة جديدة من الأشخاص.. قبل أن يغلق الباب نظر إلى الخارج فأدرك أن الليل قد هبط على المدينة.. تشاجر بعض الوافدين الجدد مع القدامى في محاولة لإيجاد مكان يسع الجميع..

وقف الرجل الذي هو بحمايته وصرخ فيهم.. سكنت حركتهم تماما.. وجلس كل منهم في المكان الذي استطاع الوصول إليه.. كان السكون مخيما حينما تمدد الرجل على الأرض في محاولة للنوم..

أدرك أنه لن يستطيع النوم بجوار هذا الرجل.. ولهذا فسيظل يقظا حتى الصباح.. أسند ظهره للحائط.. وتشاغل بالتفكير في حياته.. والمصير الذي يمكن أن يكون لاقاه طلعت خاصة وهو لم يسمع به منذ لحظة دخوله الحجز..

كان السكون والظلام الذي يلف المكان لا تقطعه سوى نيران سيجارة مشتعلة يدخنها أحدهم في أحد الجوانب.. وصوت صرصور الليل الذي ينبعث من مكان لا يعرفه.. تشمم رائحة منفرة..

حاول أن يحرك نفسه بعيدا عن مصدر الرائحة.. لكن الرائحة اجتاحت الحجز تماما.. كانت رائحة بول عطن تنبعث من الحفرة المخصصة للمحجوزين للتبول بها.. حاول كتم أنفاسه فلم يقدر..

رفع القميص الخاص به على أنفه وأخذ يتنفس من خلال القماش.. أخذت أصوات الشخير الخاص بالمحجوزين ترتفع رويدا رويدا.. كانت الأصوات كأنها ترد على بعضها البعض في تناغم.. كلما ارتفعت من جانب رد عليها الجانب الآخر..

خشي أن يصرخ فيهم فيناله نصيب من الضرب.. فكر أن يسد أذنيه فابتعدت يده عن أنفه وهاجمته الرئحة من جديد.. تحسس بيديه ما حوله فوجد سجائر الرجل المجاور له..

أشعل سيجارة عازما على تركها مشتعلة دائما لتخفف الرائحة.. واضعا إصبعيه في أذنيه ليمنع صوت الشخير.. كانت تلك حيلة ناجحة تمكن عن طريقها من تمضية الليلة..

فُتِح باب الزنزانة في الصباح الباكر وأخبرهم جندي بالخروج للوقوف في طابور العرض.. خرجوا ووقفوا متجاورين.. لحظات وحضر أحد الضباط وأخذ يسألهم عن سبب تواجدهم.. المقبوض عليهم على ذمة قضايا تنحوا جانبا.. المشتبه بهم تنحوا جانبا آخر..

وقف هو وحيدا.. تقدم منه الضابط.. سأله عن تحقيق الشخصية فأبرزه للضابط.. نظر الضابط لتحقيق الشخصية وسأله:

-هل أنت ابن عبد العزيز الشربيني تاجر الخردة..؟

كان يدرك أن بالبلدة تاجر شهير له نفس اسم والده..وهو

نائب الدائرة في البرلمان.. ازدرد لعابه وفكر لثانية أن يقول الحقيقة.. لكنه خاف من غضبة والده لو عرف بأمر حبسه.. فأجاب الضابط بالإيجاب.. تقدم منه الضابط ولطمه على وجهه لطمة أفقدته الرؤية للحظات.. قال الضابط:

-هذه المرة سوف أتركك تذهب لأجل خاطر والدك.. لكن لو رأيتك هنا مرة ثانية.. سوف أقوم بعمل قضية لك.. هل تفهم..؟

أطرق ناظرا إلى الأرض.. وضع الضابط تحقيق شخصيته بيده ودفعه في اتجاه الخروج.. أسرع مغادرا غير مصدق أنه خرج.. كان يدرك أن تشابه اسم والده مع تاجر الخردة الشهير هو الذي أنقذه من الحبس.. كثيرا ما تعرض لمثل هذا الموقف.. وكان دائما يتفاخر بوالده.. لكنه خوفا من عقاب والده ـ نتيجة حبسه ـ نسب نفسه للتاجر الشهير..

ما أن أسرع الخطى بعيدا عن قسم الشرطة حتى شعر بجسده مثقلا.. كانت نسمات الصبح الندية وأشعة الشمس المبهجة محببة إلى نفسه دائما.. وكثيرا ما كان يخرج صباحا للاستمتاع بكليهما.. لكنه شعر بالندى يثقل كتفيه وبأشعة الشمس تكاد

تلهب عينيه..انتابته الدهشة.. فما كان يسبب له البهجة سابقا أصبح نوعا من العذاب.. وأدرك أن ليلة الحجز قد فعلت فعلها بجسده.

أسرع الخطو في اتجاه المنزل.. لكنه خشي أن يعود في هذا التوقيت المبكر قبل خروج والده للعمل.. توجه مباشرة إلى منزل كاترينا التي أدركت أنه لم ينم ليلته.. دعته للدخول.. فهمت منه ما حدث وهو يأخذ دشا سريعا.. صنعت له طعاما في عجالة.. تناوله وجعلته ينام في غرفتها بعد أن أغلقت النافذة حتى لا يزعجه الضوء.. أغلقت الباب خلفها.. بينما راح هو في سبات عميق.

عند استيقاظه وجد كاترينا قد أعدت له صنوف الطعام التي يحبها بالطريقة التي تتقنها.. أخبرته كاترينا أنها تقابلت مع طلعت قبل قليل في الشارع.. تناول طعامه مسرعا.. وتوجه من فوره ناحية منزل طلعت..

أسرع بصعود السلم وطرق الباب.. كان يود أن يعرف ماذا حدث لطلعت.. وماذا حدث لوالده.. ولماذا تركه طلعت طيلة

الليل دون أن يسأل عنه.. عشرات الأسئلة انهالت من فمه على طلعت بمجرد رؤيته له..

ضحك طلعت ضحكة ساخرة عندما علم منه ما ناله في تلك الليلة في الحجز.. تجاوز سخرية طلعت منه وحاول أن يفهم.. أخبره طلعت أن بعض الضباط ورجال الشركة قد اصطحبوه معهم في محاولة منهم لإقناع والده بكسر الإضراب..

وعرض عليه رجال الشركة أن يلحقوه بعمل إداري في الشركة لو تمكن من إقناع والده.. بل أنهم سيعينون والده أيضا في وظيفة إدارية في الشركة.. ووافق طلعت طبعا.. وأمكن له إقناع والده..

وبالفعل تم اتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك.. ومن الطبيعي ألا يذهب طلعت للحجز حتى لا يعرض نفسه لموقف شبهة من رجال الشرطة.. كانت الكلمات تنهال من طلعت على رأسه كالمطرقة وهو يحاول أن يفهم..

كيف تخلى عنه صديقه بهذه السهولة.. وكيف تخلى والد صديقه عن قضيته بهذه السهولة أيضا.. وكيف كان هو على استعداد لبذل حياته فداءً لصديقه ودفاعا عنه وعن والده..

أعجزته الأسئلة.. فوجد نفسه يصرخ في صديقه ندما على المشاعر التي انتابته في لحظة آمن بها بصديقه..

obeikan.com

## ( ١٤ )

أخذ يسرع الخطو حتى وصل إلى الشارع فوجد نفسه يسرع في اتجاهات عدة لا يعرف إلى أين تنتهي به.. وجد نفسه بعد فترة في مواجهة اعتدال.. لم يكن قد رآها منذ غادرت الشارع بصحبة زوجها من أشهر قليلة..

انتابته دهشة للحظات لكن اعتدال كانت المبادرة وتقدمت منه.. تحدثت إليه قليلا.. وأصرت على أن يتوجه معها إلى منزلها.. خشي من ردة فعل زوجها فطمأنته.. وتوجها سويا إلى شقة اعتدال..

حين دخل إلى الشقة شعر للوهلة الأولى أن هذه الشقة مؤقتة



obeikan.com

بالنسبة لاعتدال.. وصدق حدسه عندما أخبرته بأنها استأجرت هذه الشقة حديثا.. بعد أن هربت من منزل زوجها..

حاول أن يفهم منها لماذا هربت..؟ فوعدته بأن تقص عليه كل شيء.. بعد أن تغير ملابسها. كانت هذه هي الحجة التي استخدمتها اعتدال في محاولة منها لاستبقائه وتحقيق لحظات من المتعة معه.

أعقب تغيير ملابسها مشروبًا خفيفًا ثم وجبة لزوم الضيافة.. ومشروبًا بعد الوجبة.. لم يمانع أي فعل تقوم به اعتدال؛ فمن ناحيته كان بحاجة لمن ينسيه موقف طلعت معه وتبريره لتصرفاته.. كان بحاجة للهروب من تلك اللحظة بكل ما فيها..

وكانت زجاجات البيرة التي قدمتها له اعتدال بمثابة الحافز ليطيل مكوثه لديها ملبيًا رغبتها هربا من الأفكار التي كانت تزاحم رأسه بدون جواب.. أفكار تتصارع باحثة عن معنى لتصرف طلعت.. لكنه لم يجد لها إجابات فأسلم نفسه لرغباتها وكأنه يحاول بذلك أن يهرب من تلك الأفكار ليجد نفسه بين أحضانها مستعيدة به مشاعر فرت منها في مراحل سابقة.. حاولت جهدها أن تستعيدها بينما كان هو يدخل بها

مناطق من اللذة لم تعهدها من قبل.

وجدت اعتدال حاجتها معه كما تمنت.. وفي اللحظة التي اعتدل فيها إلى جوارها.. أخبرته بأنها بعد أن تركت الشارع.. أخذ زوجها يسئ معاملتها أكثر.. كانت تدرك أنها أخطأت في حق الزوج.. وحاولت أن تكفر عن خطئها ربما تستمر الحياة..

لكن الزوج تحول إلى وحش ضار.. يسكر طوال الليل ويضربها طوال النهار.. وفي النهاية أخبرها بأنه سوف يغادر البلدة إلى اليونان ليعيش مع زوجته اليونانية.. لم تكن تعلم أنه متزوج من أخرى..

تعاملت مع الأمر على أنه أمر واقع وعليها أن تتحمله.. لكنها فوجئت به يحول جميع نقوده إلى سبائك ذهبية.. أخذت تراقب الأمر وهي تدبر أمرا.. والزوج يكدس السبائك الذهبية في صفائح الجبن ثم يقوم بلحامها لتبدو وكأن ما بداخلها جبن أبيض.. وهي تراقب..

والزوج يغير نقودا أكثر إلى سبائك ذهبية ويقوم بتعبئة الصفائح.. أدركت أنه سيهجرها إلى الأبد.. ودار شريط

حياتها أمامها في لحظة.. هذا الزوج الذي كان عاملا بسيطا باليومية لدى أي طالب عمل..

هي التي دفعته ليعمل بالتجارة في الميناء.. وهي التي حرصت على أن يكون ثروة.. وهي التي اشترت العقارات وباعتها ليكسب منها.. وهي التي ساعدته ليكون شريكا لواحد من أباطرة الميناء.. يوم أن رآها الرجل وشغف بها حبا..

ساومها الرجل على نفسها حين سألته أن يشرك زوجها معه بالتجارة.. قبلت حتى يكون للزوج مكانة ومكان.. وكبر الزوج وصار إمبراطورا في الميناء هو الآخر.. والآن.. الآن يحول كل هذه الثروة ليعيش بها مع زوجته الجديدة تاركا إياها تعيش وحيدة فقيرة بعد أن وهبته كل ما يمكن لامرأة أن تهبه لرجل..

أخذت تفكر في ما يمكن أن تفعله.. في البداية قررت أن تستأجر هذا المنزل الذي لا يعرفه زوجها.. اختارت هذه المنطقة بعناية.. وبعد أن أتم الزوج وضع سبائك الذهب في الصفائح وأحكم إغلاقها.. وفي الليلة الموعودة.. انتهزت فرصة عدم وجوده بالمنزل.. وحملت الصفائح وأتت بها إلى هذه الشقة..

وعند عودة الزوج وعلمه بما حدث أخذ يصرخ ويهذي كالمجنون.. وأحرق الشقة بكل ما فيها.. حاول البعض منعه فانهال عليهم بالضرب والسباب.. وأخذ يطارد السيدات في الشوارع ويضربهن بقسوة.. وانتهى به الأمر نزيلا في مستشفى المجانين..

قررت هي أن تغادر البلدة بما معها من صفائح تحتوي على سبائك الذهب.. ستذهب إلى مسقط رأسها لتعيش هناك.. وتبدأ حياتها من جديد.. بيد أن حلما كان يراودها.. إما أن تستطيع إقناعه بالتوجه معها.. أو أن تقضي ليلة أخيرة في أحضانه..

ولهذا كانت تبحث عنه في كل شوارع البلدة حتى عثرت عليه بالصدفة في جولتها داخل الشوارع المحيطة بمنزله.. وحين أدركها اليأس من تحقيق هدفها.. جذبته ناحيتها لتكون هذه الليلة ليلة الوداع التي ستغادر بعدها ولن تعود إلى هذه البلدة أبدا.

اتسمت الليلة بكل ما يمكن أن توفره امرأة كاعتدال لتحبب إليه

البقاء معها.. بل والمغادرة إلى حيث موطنها الأصلي.. تبادلت معه المشاعر والأحاديث.. حاولت معه بكل ما يمكن لأنثى أن تحاول به..

لكن من تدرب بين أحضان كاترينا ما كانت تنطلي عليه هذه الألاعيب.. فكان هو الذي بادر ودخل بها مناطق جديدة عليها أسلمت له فيها قيادها.. وتركته مستمتعة بليلة الوداع كما أسمتها بعد ذلك..

عاونها في الصباح في تحميل صفائح السبائك الذهبية في عربة القطار التي حجزت بها مقعدا.. انتظرها حتى كاد القطار أن يتحرك.. أمسكت بيده من شباك القطار.. تنازعتها مشاعر ودت أن تتجاوب معها.

ودت أن تقفز من القطار وتأخذه بين أحضانها.. ودت أن تغادر القطار وتعود معه لتواجه به العالم.. ودت أن تصرخ معلنة حبها له أمام الكافة.. ربما أمكنها أن تعيش معه إلى الأبد.

كادت أن تقف وتصرخ.. لكن نظرته لها جعلتها تتراجع.. شعرت أن ما ربطها به من البداية لم يكن إلا رغبة جامحة..

وأن الحب لم يعرف الطريق إلى قلبيهما خلال تلك العلاقة.. فارق السن كان يشكل لها عائقا أيضًا.. نظرت حولها فلمحت نظرات الشفقة في عيون النسوة الجالسات قريبا منها.

سمعت إحداهن – تنظر له – وتهمس لها:

-ربنا يطمئن قلبكِ على ضناكِ وترجعي له بالسلامة..

أدركت الفارق الشاسع بينهما في تلك اللحظة.. وشعرت بأنه لن يكون لها.. أحجمت في اللحظة الأخيرة بعد أن تيقنت أن حبا كهذا لن يقره المجتمع..

اعتصرت يده بكف يدها.. تأملت بريق عينيه كثيرا.. أطلق القطار صافرته.. نزع يده من يدها.. ومع تحرك القطار كانت هناك دموع صامتة تنهمر من عيني اعتدال بينما يدها تشير له مودعة.. ابتعد القطار وهو يلوح بيده..

استدار عائدا فوجد الرجل العجوز جالسا مستندا بظهره على حائط متهدم.. اقترب منه بهدوء وجلس ساكنا إلى جواره.. شمل الصمت الكون كله في تلك اللحظة لا يقطعه سوى صوت أنفاس خارجة مصحوبة بصرير من صدر العجوز.

obeikan.com

## ( ١٥ )

أيقظته والدته من النوم وطلبت منه التوجه لمنزل الحاجة رئيفة.. تعودت والدته إرساله إلى منزل الحاجة رئيفة على فترات متقاربة أحيانا ومتباعدة أحيانا أخرى.. الحاجة رئيفة تمت لهم بصلة قرابة من بعيد.

اعتادت والدته أن ترسل لها بين الحين والآخر بعض مستلزمات الحياة التي تعينها وذلك بعد وفاة زوج الحاجة رئيفة.. وانقطاع مصادر دخلها عدا معاش قليل خصصته لها الشركة التي كان يعمل بها زوجها..

من ناحيته كان يحب الذهاب لمنزل الحاجة رئيفة.. فهي رغم



obeikan.com

ظروفها التي يعرفها الكافة.. لم تكن تبخل عليه أبدا.. وفي كل زيارة لها كان يجد دائما ما يسره.. ساعة يد من مقتنيات زوجها الراحل.. قطعة ملابس جديدة لم تستخدم.. بعض الحلوى.. ومرات أخرى كانت تقدم له الحاجة رئيفة بعض النقود.. لم يكن يخرج من هذا المشوار خالي الوفاض أبدا..

وكان يفضل هذا المشوار على كل ما يشغله.. بيد أنه اليوم مرتبط بموعد مع مديحة.. وعدها أن يذهبا سويا للكلية.. نادت عليه والدته مرة أخرى.. أسرع ملبيا نداء والدته على أمل أن ينهي مهمته سريعا ليلحق بموعد مديحة.. تناول الأشياء التي وضعتها والدته في كرتونة محكمة الغلق..

حمل الكرتونة وسابقت خطواته الريح آملا أن ينهي مهمته مسرعا وفي نفس الوقت يحصل على مكافأته من الحاجة رئيفة.. سيقدم لها الكرتونة ويمزح معها كما اعتاد بكلمتين تضحك كلما سمعتهما منه:

- ألن تتزوجي وأرتاح من هذا المشوار..؟

تضحك منه وتعطيه ما ادخرته له.. وربما تقدم له بعض الطعام

والحلوى.. يتناول ما قدمته له بنفس راضية.. ويسمع دعواتها له حين يغادر المنزل.. وتظل الدعوات ملازمة له حتى يخرج إلى الشارع.

كانت رئيفة تسكن في بدروم منزل يبعد عن شارعهم بضع شوارع.. يلزم للوصول لشقتها المرور في طرقة طويلة ثم نزول السلم ثلاث درجات تحت مستوى سطح الأرض.. وكان من الممكن لمن يقف في الشارع أن ينظر أسفل قدميه ليلمح كل ما يدور داخل المنزل..

اعتاد كل مرة يأتي فيها إلى منزل الحاجة رئيفة أن يلتفت خلفه بعد أن يخرج من المنزل ويسمعها وهي تردد الدعاء له بالنجاح وطول العمر.. ما أن اقترب من منزل الحاجة رئيفة حتى لاحظ جمهرة من الناس واقفة أمام شباك المنزل..

راوده إحساس عميق بالقلق ولكنه أخذ يقترب حاملا الكرتونة على كتفه.. وعندما وصل إلى الواقفين أخبره أحدهم أن الحاجة رئيفة توفيت منذ يومين.. وأن إحداهن حينما نظرت من شباك الشقة المفتوح وجدتها ملقاة على الأرض.. فنادت

عليها وعندما لم ترد عليها استدعت الجيران الذين قاموا بكسر باب الشقة واستدعاء الطبيب الذي قرر أنها قد ماتت منذ يومين ولم يشعر بها أحد..

شعر بالأرض تميد به.. وكاد أن يسقط على الأرض لولا أنه تمكن من إلصاق ظهره بأحد الجدران.. سقطت الكرتونة التي كان يحملها إلى جواره.. نظر أسفل قدميه.. كانت الحاجة رئيفة ممددة على الأرض وحولها بعض النسوة..

تذكر وجهها بقسماته الرقيقة.. ابتسامتها التي لا تفارق وجهها رغم كل الظروف التي كانت تحكيها له والدته عنها.. الأمومة التي لم تختبرها حقا لكنها كانت تشعره بها في كل لقاء.. الحنان الذي كان يشع من وجهها.. القوة التي كانت تتمتع بها في مواجهة كل ما مرَّ بها في حياتها..

رائحة الشاي الذي كانت تعده له.. طعم الطعام الذي كانت تصر على أن يتناوله لديها.. ولمسة يدها الحانية.. وصوتها الذي يردد له الدعاء حتى يخرج إلى الشارع.. هل اختفى كل ذلك..؟.. هل ذهبت إلى مكان لن يراها فيه ثانية..؟ شعر

بجسده يرتجف ووجد نفسه يهبط إلى الأرض حتى جلس.. وانسابت من عينيه دموع غزيرة.. وكما لو أن الدموع التي انسالت من عينيه غسلت شيئا بداخله.

رفع رأسه فوجد مديحة واقفة على الرصيف المقابل.. كانت قد سألت عنه في المنزل وعرفت من والدته المكان الذي توجه إليه.. سارت في نفس الطريق علها تقابله في طريق عودته.. أسرع إلى مديحة وحكى لها ما حدث.. لاحظت دموعه المنهمرة من عيناه.

أمسكت بيده وربتت على كتفه.. ازدادت دموعه غزارة.. ضمته إلى صدرها.. وضع رأسه على صدرها وأجهش بالنشيج المكتوم..ربتت مديحة على ظهره حتى استكان وهدأ.. نصحته بالعودة للمنزل لإخبار والدته كي تفعل هي ما تراه مناسبا..

تركته والدته مع مديحة وأسرعت خارجة.. اقترحت مديحة أن يخرج معها.. أخبرها أنه لن يستطيع الذهاب إلى الكلية.. أفهمته بأنها لن تذهب هي أيضا.. واقترحت عليه أن يذهبا إلى شاطئ البحر..

ما أن جلسا على شاطئ البحر حتى أسند ظهره إلى المقعد متابعا موجات البحر التي تتكسر أمامه على شاطئه مفسحة المجال لموجات أخرى تليها في تتابع مذهل.. متابعا في نفس الوقت حكايات مديحة التي انتقلت بالحديث عبر مجموعة من الأخبار لا تكاد تنهيها حتى تبدأ في غيرها وكأنها تحاول أن تخرجه من حالة الحزن التي تنتابه..

شرد كثيرا وتابع حكايات مديحة بنصف عقل وما أن لوح وجهه الهواء البارد القادم من البحر.. حتى أخرج نفسا عميقا كأنه يزيح عبئا ثقيلا عن كاهله.. انتظمت بعدها أنفاسه فنظر إلى وجه مديحة في اللحظة التي كانت فيها الشمس تميل ناحية الغروب فوقع رأسها مابين وجهه وقرص الشمس..

خيل إليه أنه يستطيع رؤية أشعة الشمس عبر وجه مديحة.. ابتسم لتلك الفكرة.. وعندما سألته عن سر ابتسامته أجابها بما يفكر فيه.. كانت مديحة نحيفة بشكل ظاهر وملامحها شديدة الدقة.. شمرت كمها ورفعت ذراعها في مواجهة الشمس وقالت له أنه لو دقق قليلا فسيمكنه رؤية جريان الدم داخل أوردتها..

انتابته موجه من الضحك وأسرع محاولا الإمساك بيد مديحة التي كانت أسرع منه وهربت من أمامه.. طاردها عدوا فوق رمال الشاطئ.. وكانت تلك وسيلتها التي استعملتها لتخرجه من حالة الحزن.. وترددت ضحكاتهما على الشاطئ وهما يعدوان خلف بعضهما البعض.

obeikan.com

obeikan.com

## ( ١٦ )

انتهى من تصفح الكتاب الذي أعطته إياه مديحة.. ليلة كاملة قضاها يقرأ حتى ظهر نور الصبح.. وما أن انتصف النهار حتى كان يقف بباب مديحة يعيد إليها الكتاب الذي انتهى منه لتناوله بدورها كتابا جديدا..

عوالم غريبة تفتحت أمامه لم يكن يعرف عنها شيئا.. وجد نفسه يدور مع أرنستو تشي جيفارا في أحراش أمريكا اللاتينية مطالبا بالحرية للشعوب.. وواقفا على الجبهة بصحبة ليو تولستوي يرقب تطورات الحرب والسلام.

باحثا مع جابرييل جارثيا ماركيز عمن يراسل الكولونيل أو

ينبئه عن سنوات العزلة المائة.. لاهثا خلف إرنست هيمنجواي العجوز والبحر.. متصعلكا في شوارع باريس مع جان بول رامبو رفضا لقيمها المحافظة.. جالسا على مقاهي المثقفين مستنشقا دخان السجائر ورائحة البيرة التي يعج بها المكان متأملا ألبير كامي الغريب..وجان بول سارتر الذي أخبره بأن الجحيم هو الآخرون..وسيمون دي بوفوار ونقاشات لا تنتهي حول الوجود..

متأملا لعبة الكريات الزجاجية مع هيرمن هيسه.. مراقبا القرد كثيف الشعر مع يوجين أونيل.. مغرما بلوحات بيكاسو وسلفادور دالي.. مرددا أغاني نجم وإمام وفيروز.. رافضا لنيتشة بكل عدميته.. صاعدا على شرفة جولييت باحثا مع ويليام شيكسبير عن زهور على مفرقها وإبتسامة خجلى على ثغرها..

مسطرا أبياتا من العشق مع أوفيد في فن الهوى.. عابرا بحارا من الظلمة خلف أوديسيوس في الأوديسا بعد أن التهم الإلياذة قراءة وفهما.. شاهدا على براعة محمد بن عبد الجبار النفري حين وضع رؤيته مواقفا ومخاطبات.. حالما بأوراق العشب لوالت ويتمان.. واقفا على حدود الأرض مع عبد الرحمن الشرقاوي

محافظا على شرف الكلمة.. متعاطفا مع بؤساء فيكتور هوجو.

عاجزا عن فهم تلك العقلية التي تحلت بها شهرزاد وهي تبني عالما من الحكايات التي ربما تعني نهايتها نهاية حياتها هي.. فابتكرت لنفسها هذا النسق الذي يمكنها من السيطرة على شهريار يوما بعد يوم وليلة إثر ليلة.

قارئا نهما لكل ما تضعه مديحة بين يديه من كتب يلتهم سطورها ليلة بعد ليلة ويوما بعد يوم.. كبئر عميقة تلتهم بداخلها كل ما يقع أمامها من مياه علها تروي ذلك الظمأ.. لكنه كلما قرأ شعر برغبة في المزيد

قصص وحكايات لأبطال وشخصيات فتحت أمامه آفاقا لم يكن يظن بوجودها قبل ذلك.. وعالم دخله مخيرا لكنه وجد نفسه واقفا أمام سؤال يبحث له عن إجابة.. كيف يمكن تحقيق عالم مثالي..؟ عالم يخلو من كل المثالب ولا تسيطر عليه سوى القيم الإيجابية والمثل العليا.. كان يظن أنه بالقراءة وعن طريقها سيتمكن من إجابة السؤال.. لكنه اكتشف إنه وضع قدميه فقط على أول سلم الأسئلة.

تتابعت الجلسات بينه وبين مديحة مناقشا ما يقرأ.. وفي كل مرة كانت تفتح له أفقا جديدا وتضيف له معلومة غائبة أو نظرة مغايرة لموضوع ما.. وفي إحدى الجلسات عرضت عليه أن ينضم عضوا في التنظيم.. فهم منها أنه تنظيم يسعى لتحقيق العدل والخير لكل الناس.

وافقها وأخذت تمده ببعض الكتب وتناقشه في ما فهم.. وبعد أن اطمأنت تماما لجاهزيته حددت له موعدا لمقابلة بعض الزملاء.. سار اللقاء عاديا مليئا بالمناقشات اكتسب خلاله ثقة الزملاء.

وتم تكليفه ببعض المهام التي أيقن أن السبب منها هو قياس قدرته على الأداء.. أوصل بعض المطبوعات إلى بعض الزملاء وجمع بعض التبرعات من البعض وأوصلها بأمانة إلى المكان المراد إيصالها إليه.

وتوالت اللقاءات والتكليفات حتى أخبرته مديحة أن هناك اجتماعًا تنظيميًّا سيعقد في مدينة قريبة وعليه أن يستعد جيدا.. كان الموعد في إحدى الشقق الخالية في إحدى المدن الساحلية.. وعندما دخل وجد مجموعة من الزملاء لم يكن قد

قابل أيا منهم سابقا.

قدمته مديحة إلى الحضور باسم مستعار وكذلك استخدم الجميع أسماء مستعارة.. ومضى اليوم الأول والثاني في مناقشات ومحادثات حول كيفية العمل الجماهيري والأوضاع التنظيمية.. والحاجة إلى التوسع في التنظيم ودرجة السرية المفترض إتباعها.

كانت الحوارات معظمها تدور بينهم بطريقة تلقينية.. يتولى الزميل الأقدم فيهم التلقين ويوافقه الآخرون.. لم يلحظ أن ثمة فرصة له ليعارض ما يقال رغم أن آلاف الأسئلة كانت تجوب برأسه باحثة عن إجابة.

ربما كان أبرزها بالنسبة له كيف لهم جميعا وهم قراء أدب من رواية وشعر ويفكرون في نفس الوقت في موضوعات سياسية.. ألم يكن الأجدر بهم دراسة السياسة بديلا عن الأدب..؟

ربما أمكن لهم الوصول لتلك المعضلات التي يتحدثون عنها.. وكيف يتحدثون عن النزول إلى الجماهير..؟ أليست تلك الجماهير هي أهالينا وسكان الشارع زملاء الدراسة

والجيران..؟

أم أننا نتعامل مع الجماهير باعتبارهم طبقة أقل منا مستوى.؟ أم أن ما نحصله من ثقافة يدفعنا لتبوء مكانة مغايرة لما نحن عليه..؟ وكيف سنغير واقع الناس إن لم نلتحم بهم التحاما يدفعهم للتعاطي مع ما نقول إيمانا به..؟ كيف يشعر هؤلاء بالغربة وسط مجتمع ويحاولون في نفس الوقت تغييره..؟

هذه الغربة المتمثلة في تلك النبرة التي يتحدثون بها عن الجماهير وكأنهم من مجتمع مغاير.. حاول أن يختلي بمديحة للحظات علها تجيبه عن تساؤلاته.. لكنه كلما حاول الاقتراب منها كان يواجه بنظرات حادة من الزميل الأقدم.

قرر أن ينتظر حتى يعودا ثانية إلى مدينتهما علَّها تتمكن من أن تجلو عن فهمه ما عصى عليه وتجيب عن أسئلته.. قرر أن يراقب ولا يشارك في الحوار إلا إذا طلب منه أحدهم رأيا.. وانزوى في أحد الأركان مراقبا ومتابعا لحواراتهم ومناقشاتهم.

في نهاية كل يوم كان بعض الزملاء يدخن السجائر المحشوة بالمخدرات أو يتناول زجاجات البيرة.. لم يكن يشاركهم في

ذلك وإن لم يبد امتعاضا من ذلك.. كان اليوم الثالث والأخير فارقا ففي هذا اليوم لزمت مديحة غرفتها طوال النهار لم تخرج منها.. وعندما سأل أفهمه أحدهم إنها مريضة ولا تستطيع الخروج.

ومع قدوم الليل أخذ الجميع يثرثرون في أحاديث متفرقة وهو جالس مكانه يراقب ما يحدث.. حتى قال أحدهم أنهم من المفترض أن يغادروا صباحا.. ومن الواضح أن مديحة لن تستطيع المغادرة نظرا لمرضها.. وأخذوا يعددون الاحتمالات حول إمكانية مغادرتها في الصباح أو عدم مقدرتها على ذلك.

وأشار أحدهم إلى أنه من الممكن أن تموت مديحة قبل أن يطلع الصباح.. وأخذ الجميع يتناقشون في ما يمكن فعله لو حدث ذلك فعلا.. هل يتركونها ويغادرون الشقة..؟ ولكن وجود الجثة سيربط بينهم وبين صاحب الشقة.

هل يأخذونها معهم..؟ وكيف سيبررون موتها..؟ هل يخرجونها من الشقة ويلقون بها على قارعة الطريق..؟ وماذا يحدث إذا وقعوا في أيدي الشرطة..؟ طرح الجميع كافة الاحتمالات..

حتى قال أحدهم أنه إذا حدث وماتت مديحة فلابد لهم من تذويب جثتها في البانيو بإحضار كمية من حمض الكبريتيك المركز ووضع الجثة فيها حتى تذوب تماما ويمكن بعد ذلك طحن ما تبقى من العظام وإلقاءها في الصرف الصحي وحرق الشعر حتى لا يكون هناك أي أثر يشي بهم.

كان من الواضح له أن ما يقولونه هو من تأثير المخدرات التي تناولوها وأخذ الجميع يتسللون واحدا واحدا في اتجاه غرف النوم بينما ظل هو جالسا في مكانه يراقب ما يحدث.. بعد أن سكنت الحركة تماما في الشقة توجه ناحية غرفة مديحة.

فتح الباب فوجدها نائمة.. أمسك بيدها فوجدها محمومة.. ولكنه لا يعرف ماذا يفعل.. أحضر ماءً مثلجًا وأخذ يصنع لها كمادات ويضعها على رأسها.. في البداية كانت تهذي بكلمات غير مفهومة.. لكنها شيئا فشيئا أخذت ترتجف.. وعندما وضع يده على جبهتها كانت درجة حرارتها قد اعتدلت.

نظر من شباك الغرفة إلى الخارج.. كان ضوء الفجر يصارع من أجل الظهور.. نظر إلى مديحة فوجد أنفاسها قد هدأت

والضوء القادم عبر الغرفة من فرجة الباب يرسم ابتسامة رضا على شفتيها.. أمسك بيدها فاستكانت في نوم عميق.. جلس إلى جوار السرير حتى هاجمه النوم فافترش الأرض إلى جوارها ممسكا بيدها بينما غلبه سبات عميق.

استيقظ على أصوات الزملاء مابين غاضبة وصاخبة وضاحكة.. وقف فوجد مديحة قد استفاقت.. حاول أن يفهم سبب غضب البعض فأنهت مديحة النقاشات الدائرة واصطحبته من يده خارجين.. ولم تحدثه مديحة حتى وصلا إلى مدينتهما ومنها إلى الشارع.

تركته مديحة ومازالت آلاف الأسئلة تنهش كيانه لكنه لا يجد لها إجابة.. نظر ناحية منزل كاترينا لكنه أسرع الخطو ناحية منزله مغلقا غرفته على نفسه باحثا عن إجابات لأسئلة مازالت تلح عليه.

ظلت مديحة تتحاشاه لفترة من الزمن وتحرص على أن تقابله وسط أصدقاء الدراسة.. حاول أن يفهم سر هذا التغير من ناحيتها وهي تراوغ وتهرب بحجج مختلفة.. حتى ضيق الخناق

عليها ذات يوم فأخبرته بأنه تم فصله من التنظيم وأن هناك تعليمات مشددة بأن لا تتحدث معه.

حاول أن يفهم السبب فأفهمته أن الزملاء يرون أنه أخطأ حين نام إلى جوار سريرها حين كانا في المدينة الساحلية.. ثار وأفهمها أنه فعل ذلك خوفا عليها ورغبة منه في حمايتها من الوحشية التي كانوا يتحدثون بها عنها أثناء مرضها.. وما كان يحيكه أحدهم لها.

أخبرته أنهم يظنون أنه كان يتحرش بها ليلا وهي نائمة مريضة.. أخذ يدافع عن نفسه.. ولعن التنظيم واليوم الذي انضم فيه إلى هذا الكيان.. وأفهمها أنه سوف يظل صديقا لها بغض النظر عن وجود التنظيم من عدمه.. لمحت مديحة الصدق في كلامه فهدأت خاطرة واتفقا على الخروج معا عصر اليوم التالي إلى البحر.. وافترقا على ذلك.

حين دخل منزله دعته والدته لتناول الطعام.. لم يجب دعوتها وتوجه مباشرة لغرفته.. أغلق الباب على نفسه فاتحا المجال لعشرات الأسئلة التي طاردته من كل اتجاه.

من هؤلاء الزملاء الذين التقى بهم منذ أيام معدودات..؟ وكيف تعرفت إليهم مديحة..؟ وما هذا القدر من العداء الذي يتعاملون به مع الحياة..؟ ومع مديحة..؟ ومعه..؟ سيكشفهم أمامها فور أن يلتقيها.

هم كذبة لا يليق بها أن ترتبط بهم.. وحتى لو كانت نواياهم صادقة.. كيف فكر أحدهم في التخلص من مديحة بهذا الشكل البشع بكل بساطة..؟ سيطلب منها أن تعيده إليهم ثانية.. ولن يسكت حتى يكشف تصرفاتهم وألاعيبهم أمامها.. أخذت الأفكار تدور برأسه أسئلة متتابعة حتى أشعرته بالإنهاك الجسدي والعقلي فوجد نفسه ينسحب بهدوء على السرير.. وراح في إغماءة خفيفة.

obeikan.com

obeikan.com

## ( ١٧ )

استيقظ من نومه فزعا على صوت انفجار هز أرجاء الغرفة التي ينام بها.. كانت الأشياء كلها في الغرفة تتأرجح وتهتز.. أسرع ناحية الشباك لينظر ماذا يحدث في الخارج فوجد الناس جماعات تجري في هلع وأخرى تصرخ وثالثة تستغيث والهواء محمل بكميات هائلة من الغبار الذي يعوق الرؤية ويلوث ملابس العابرين.

حاول أن يتساءل فرأى العيون شاخصة في اتجاه بيت المقدس.. أسرع خارجا من المنزل باحثا عن السبب فوجد الناس جميعا يشكلون كردونا هائلا حول كومة كبيرة من الأنقاض هي ما تبقى من بيت المقدس.



obeikan.com

وما بين الصرخات الملتاعة وصيحات الاستنجاد وحالة الهرج والفوضى التي عمت المكان في لحظة.. حاول أن يتقدم ويشارك في أعمال رفع الأنقاض التي لم تنتظر وجود رد فعل حكومي. ولكن كل من تواجد بالمكان أخذ دوره في رفع ما يستطيع من أنقاض واتسعت دائرة البحث حول إحدى الفتحات التي استطاع الرجال فتحها في وسط الأنقاض.

ومن خلالها أمكن لهم إخراج أول أربعة جثث.. كانت الجثث الأربع لعائلة المقدس.. ويبدو أن العقار انهار عندما كانوا يتناولون طعام الغذاء.. حيث أمكن إخراج الأربعة من حجرة واحدة..

لحظات ووصلت إلى المكان سيارات الإسعاف ورجال الدفاع المدني ورجال الشرطة والإنقاذ.. وتم عمل كردون حول العقار وتعاون الجميع في إزالة ما يستطيعون من أنقاض حتى يمكن الوصول إلى أية ناجين تحت الأنقاض.

كان العمل يأخذ طابعا هيستيريا لا تعرف خلاله من له قريب تحت الأنقاض.. ومن يشارك إنقاذا لروح ربما مازالت بها

حياة.. الكل يتعاون ويعمل بكل جسارة غير هياب بسقوط جزء من جدار حوله أو عليه.

وحركة البحث دءوبة عن أي صوت يمكن أن يصدر من تحت الأنقاض مبشرا بوجود أحد الناجين.. ومن خلال الصرخات المتتالية والصيحات فهم الجميع أن زلزالا وقع وكان من تأثيره وقوع البيت.

أخذت الأنباء تحكي أن منازل أخرى قد سقطت في مدن أخرى.. وأن بعض البيوت قد أصابتها تصدعات وتشققات.. والحركة فوق مساحة الأنقاض تشتد وتيرتها كل يحاول أن يبحث عن ناجين تحت الأنقاض.

وحده كان يبحث بهيستيريا في أحد الجوانب محاولا إزالة أكداس من الحجارة والأخشاب وصولا إلى مكان مديحة التي تركها منذ لحظات على أمل اللقاء في الغد.

عشرات الأسئلة كانت تجول برأسه منذ قليل منتظرة إجابة مديحة عنها.. وهي الآن تحت هذا الركام.. هل ستجيب عن أسئلته..؟ هل ستخرج سليمة كما يتمنى..؟ عشرات الأسئلة ولا

إجابة.

وكلما نجح الرجال في إخراج جثة ما كان يسارع في اتجاههم ناظرا إلى وجه الجثة.. وعندما يتأكد أنها ليست مديحة يعود ثانية إلى الركن القصي الذي يبحث فيه ليعاود البحث من جديد.

اكتست السماء بلون رمادي غريب ناتج عن اقتراب المساء والغبار المتصاعد من الأنقاض الذي يخنق الأنفاس.. حضرت إلى الموقع بعض المعدات وأخذ الرجال يسابقون الزمن في محاولات يائسة لإنقاذ أي أحد.

أخرج الرجال جثة جديدة سارع إليها فوجده طلعت صديقه.. أيقن أنهم اقتربوا من مكان مديحة.. كانت سيارات الإسعاف تنقل الجثث التي يتم استخراجها لتعود ثانية لتحميل ما يتم إخراجه من جثث..

ترك المكان قرب سيارة الإسعاف وسارع إلى مكان البحث وأخذ يوسع من دائرة الحفر في المكان الذي أخرج منه الرجال جثة طلعت.. ساعده الرجال في البحث وما هي إلا ثوان معدودة

حتى أخرج الرجال جثة جديدة.. سارع إليها فوجده والد طلعت.

انتابته حالة من الأمل بقرب الوصول إلى مديحة.. أخذ يزيح الأكوام المتراكمة من الحجارة والتراب وأكوام الأخشاب الناتجة عن الأثاث المحطم.. تلفت حوله فوجد الإضاءة من مصابيح أعدها الرجال تغمر المكان كله.

أدرك أن الليل قد أرخى سدوله فأخذ يعمل بكل همته محاولا إثارة همة الجميع في البحث.. لكنه في نفس اللحظة أيقن أن الجميع قد أصابهم الوهن.. ومنهم من قرر أن يغادر على أمل العودة مع ضوء الصباح.. ومنهم من غادر يأسا بعد أن بذل قصارى جهده.. وشيئا فشيئا وجد نفسه بمفرده على قمة الركام بعد أن غادر الجميع الموقع.

استند إلى بقايا جدار.. ورفع نظره إلى السماء باحثا عن ضوء نجمة وحيدة.. أو شهاب منفرد يأتيه بقبس من نور.. كانت الظلمة تحيط بالسماء من كل جوانبها.. والغبار الكثيف يحول دون رؤية أي شيء فيبدو معه المكان وكأنه مغلف بغلالة من الضباب الكثيف.

نظر أمامه فوجد الرجل العجوز ينبش في الركام ويخرج جريدة ويأخذها ليتجه ناحية أحد الأركان ويجلس قارئا فيها.. حاول أن يستند بيديه ليصل للرجل العجوز لكنه وجد جسده في حالة من الإعياء عجز معها عن التحرك من مكانه.. أسند ظهره إلى الركام وأخذ يراقب السكون المحيط به.

ظهر كلب ضخم فجأة من بين الغبار ووقف يتشمم.. عينا الكلب تلمعان وهو ينظر ناحيته.. مد يده فأمسك بحجر عازما على أن يقذفه تجاه الكلب حال هاجمه.. أخذ الكلب يجيل البصر يمنة ويسرة.. في نفس الوقت الذي ركز فيه هو عيناه ناحية الكلب مشددا قبضته على الحجر.. ثبت الكلب في مكانه وهو يراقب ما حوله.

لحظات وخرجت من بين الأنقاض قطة بيضاء.وجدت القطة نفسها قبالة الكلب فوقفت عاجزة عن اتخاذ قرار بالهرب.. لم يستطع أن يتبين هل كانت القطة خارجة من تحت الأنقاض أم من بينها.. أخذ الكلب يدور حول القطة التي كانت تبحث في نفس الوقت عن مهرب.

زاغت عيناها بينما سرعة الكلب في الدوران حولها تسبب لها نوعا من الشلل المؤقت الذي يعجزها عن اتخاذ قرار الهرب.. أخذت سرعة الكلب تزداد وتزداد حتى أثارت كمية كبيرة من الغبار حول القطة التي ما عادت ترى أمامها فانقض الكلب على قوائمها الخلفية ممسكا بها بقوة بين فكيه ضاغطا عليها وهو يدور ويدور.

ولكنه سكن فجأة وترك القطة تسقط من بين فكيه على الأرض.. سقطت القطة على ظهرها عاجزة عن الوقوف على قوائمها.. دار الكلب حولها دورة ثم أمسك بها من عنقها وأسرع مغادرا المكان.. حاول أن يرفع يده بالحجر ليقذف به الكلب لكن يده لم تتحرك..

حاول أن يصرخ على الكلب لكنه شعر بصوته لا يخرج من فمه.. حاول أن يتحرك فوجد نفسه يسقط في هوة عميقة. رفع يداه إلى أعلى محاولا التمسك بأي شيء فوجد نفسه يهبط ويهبط وتنهال فوقه أكداس من قمامات ونفايات لا يعرف مصدرها وهو يواصل السقوط.

سمع صرخة مدوية فتلفت حوله باحثا عن مصدرها.. كانت الصرخة تزداد وتقترب منه.. نظر حوله فوجد العديد من أقرباء السكان قد حضروا للبحث عن ذويهم.. دقق النظر فوجد العمال والرجال يتعاونون في إزالة الأنقاض.

نظر تجاه الركن الذي كان يجلس به الرجل العجوز فلم يجده.. كانت الشمس قد سطعت وأخرج الرجال جثة جديدة.. توجه ناحيتها مسرعا.. لم تكن مديحة.. عاود البحث بين الأنقاض من جديد.

استمرت عمليات البحث المحمومة لليوم الثاني حتى منتصف النهار.. ومع الترقب المسيطر من قبل جميع المتجمهرين حول هذا الركام المتبقي من البيت المنهار.. سارع اثنان من الرجال بفتح كوة جديدة لمح أحدهما من خلالها قدما مفرودة.

صاح الرجل طالبا المساعدة.. وتعاون الجميع في إزالة أكوام من الطوب والأنقاض حتى أمكن لهم أخيرا إخراج الجثة المتبقية تحت الأنقاض.. أسرع إلى حيث الرجال ونظر إلى الجثة.

كانت مديحة ممددة بنفس الملابس التي كانت ترتديها ساعة افترقا.. أزاح عن وجهها الغبار في نفس اللحظة التي كان المسعفون يضعونها فوق النقالة.. اتجه المسعفون إلى سيارة الإسعاف واتجه هو ناحية أحد الأركان وأخذ يبكي بكاء مكتوما.

انحنت كاترينا ناحيته وأخذته في صدرها محاولة تهدئته.. كان جسده ينتفض من البكاء المكتوم.. ربَّت والده على كتفيه برقة.. ربما كانت تلك المرة الوحيدة التي يربت فيها والده على كتفه.

رفع رأسه لينظر إلى والده لكنه لم يجده.. نظر ناحية كاترينا فلم يجدها.. لمح الرجل العجوز جالسا يقرأ في الجريدة.. اتجه إليه مسرعا يسأله عن والده وكاترينا وأين ذهبا..؟ نظر إليه الرجل العجوز وعاود النظر في الجريدة.. شعر بأنه يريد أن يضرب الحوائط كلها بقبضته غضبا.

صرخ صرخة عالية شعر أنها جاوزت الآفاق.. تلفت حوله.. لم يجد سوى الركام المتبقى من بيت المقدس.. وعلى الناحية الأخرى كان الكلب يأكل بقايا شيء لم يتمكن من تحديده.

obeikan.com

## ( ١٨ )

مرت ليال عدة وهو قابع في غرفته لا يغادرها محاولا تجاوز تلك الضربة التي شعر أنها أنهت حياته.. كان يدرك تماما أنه إذا خرج من الغرفة فلن يجد من يتمكن من الحديث معه..

كانت علاقته بوالده قد تأزمت وشعر أن جدارا هائلا يقف حائلا ما بينه وبين والده.. والدته لم تكن هي الأخرى تجيد الحديث معه.. ورغم ما تحاول أن تبديه ناحيته من تعاطف وحنُو.. لكنها في نفس الوقت تميل ناحية مواقف الوالد منه كثيرا..

أصدقاء الدراسة كانوا يتعاملون معه على أنه ذلك الشخص الكريه الذي حاول التحرش بصديقتهم مديحة أثناء مرضها..



obeikan.com

ورغم أنه تمكن من إقناع مديحة بأنه لم يفعل ذلك.. لكن مديحة ماتت قبل أن تبرأه وتركته يعاني ويلات هذا الاتهام..

فكر أن يذهب لكاترينا.. لكن كاترينا لا تجيد سوى لغة واحدة تتعامل بها معه.. لغة الجسد.. وهو يعاني من شرخ داخل روحه.. فمن يمكن له شفاء شرخ الروح..؟ شعر بأن العالم يضيق من حوله ويطبق على خناقه..

قرر أن يغادر الحياة فربما كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة المتبقية أمامه.. توجه إلى دولاب ملابسه وأخرج قميصا أسود وبنطالا أسود.. ارتداهما مع الحذاء والشراب الأسودين وخرج من الغرفة.. حاولت والدته التحدث إليه لكنه خرج مباشرة من المنزل..

سار هائما في الشوارع يتأمل الوجوه العابرة وكأنه يلقي عليها نظرة وداع.. أخذته خطواته حتى وصل إلى شاطئ البحر.. فكر أن يلقي بنفسه وسط الأمواج المتلاطمة التي ترتطم بالشاطئ كعادتها كل أكتوبر..؟ تردد كثيرا فهناك العديد من الناس يسيرون على الشاطئ وداخل المياه هناك آخرون يسبحون..

فكر أن يتوجه إلى قناة السويس ويلقي بنفسه في مياهها.. لكنه في الطريق توقف أمام إحدى الصيدليات وابتاع منها كمية هائلة من مسكنات الألم.. عاد ثانية إلى المنزل وأغلق الباب على نفسه وتناول الحبوب المسكنة التي اشتراها وتمدد على الفراش منتظرا الموت..

لحظات وبدأ يسمع دقات قلبه عالية حتى كادت أن تصم أذنيه.. تلك اللحظة التي شعر فيها بأنه يغادر هذا العالم.. تلك اللحظة التي نادته فيها والدته بعد أن أدهشتها تصرفاته.. لم يرد عليها فدخلت عليه الغرفة.. أخذت تهزه حتى توقظه.. انتبه للحظة وأخبرها بما فعل.. صرخت والدته صرخة واحدة وراح هو في إغماءة عميقة..

فتح عينيه فوجد نفسه داخل سيارة مع أناس لا يعرفهم.. وراح في إغماءة.. فتح عينيه فوجد نفسه نائما على سرير وأمامه رجل يصرخ ممسكا في يديه بوعاء كبير طالبا منه أن يشرب ما فيه وإلا أجبره على شرابه..

تناول الوعاء من يد الرجل وأفرغ ما فيه في جوفه دفعة واحدة

وراح في إغماءة.. فتح عينيه فوجد نفسه نائما على سرير داخل غرفة خافتة الإضاءة وحوله اثنان من الأطباء ـ عرف ذلك من ملابسهما ـ وأحدهما ينظر داخل عيناه هو موجها صوبهما كشاف صغير مقررا للآخر بأن النائم على السرير في طريقه إلى الموت فقد طغى اللون القرمزي الغامق على بياض العينين مما يعني أن التسمم بلغ مداه في الدم..

عرض الطبيب الأول على زميله أن يبلغ الجميع بذلك ولكن زميله نصحه بترك الأمر حتى الصباح لأنه في الصباح سيكون قد مات وسيعرف الجميع بالأمر.. نظر إليهما مجددا وراح في إغماءة من جديد..

رأى وهو بين اليقظة والنوم نفسه محاصرا داخل دائرة تضيق عليه مكونة من والده وكاترينا ومديحة وطلعت والزملاء في التنظيم واعتدال وزملاء الدراسة.. وهم جميعا يشكلون دائرة تخنقه داخلها..

ووسط محاولاته للخروج من تلك الدائرة ظهر له الرجل العجوز وأمسك به كما تمسك المرأة بأحد الكتاكيت الصغيرة

وأخرجه من تلك الدائرة ووضعه داخل دائرة جديدة.. وجد نفسه محاطا بوجوه جديدة عليه كلية.. وجوه مرحة باسمة شعر معها بالراحة والطمأنينة.. واستراحت نفسه تماما.. وزال عنه الشعور بالاختناق..

أسلم نفسه لنوم عميق.. استيقظ على صوت يهزه ويد تدفعه بعنف فاعتدل في السرير.. كان أحد الأطباء يحاول أن يفهم منه ماذا حدث له.. وكيف تمكن من تنظيف جسمه من تلك الكمية من السموم..؟

وتعامل الطبيبان معه على أنه حالة نادرة.. وأوصوا بوضعه تحت الملاحظة لمدة أربعة وعشرين ساعة.. كانت تلك الساعات بالنسبة له فرصة كافية ليعيد تنظيم أفكاره وأولوياته.. وحين أتت اللحظة المقررة لخروجه من المستشفى شعر معها بأنه يولد من جديد.

استقر قراره على أنه لن يكون طرفا من جديد في أية علاقات داخل هذه المدينة.. وعليه أن يغادرها.. كان قد سمع من بعض زملاؤه أنهم يتوجهون في الصيف إلى فرنسا للعمل في مزارع

العنب.. وهو موسم عمل جيد يستوعب الكثير من العمالة ويعود عليهم بالدخل..

قرر أن يذهب معهم إلى هناك ويبحث عن طريقة يتجه بها إلى أية دولة أخرى طالبا الحق في الحياة فيها.. أخبره أحدهم بأن صديقا لهم بعد أن ذهب إلى فرنسا تمكن من الذهاب من هناك إلى أسبانيا وتزوج وعاش هناك. .شعر أن من يحدثه يرسم له الطريق الذي عليه أن يسلكه.. نعم.. سيفعل مثل ذلك الذي يحدثونه عنه.. وكانت الخطة تتضح أمامه وتتخذ مسارها نحو التنفيذ..

obeikan.com

## ( ١٩ )

استيقظ فزعا على أصوات مزمجرة تهز كيانه من الداخل.. تلفت حوله باحثا عن مصدر الصوت.. لم يجد حوله سوى الصمت.. دار في كل الأرجاء باحثا عن مصدر الصوت.. وجد البيوت ساكنة.. والشوارع خالية..

أدرك أنه قد ألقي به في هذا التيه وحيدًا.. بحث عن أي كائن يتحرك.. لم يجد.. دار في الشوارع حول بيته.. لم يجد أحد.. بيوت مهجورة خربة تعلوها العناكب.. عاد ثانية إلى الشارع الذي يسكن فيه.. أخذ يصرخ ربما تتجاوب مع صرخته أي روح تائهة مثله.. لكن صرخاته كان يبددها الصمت الذي يغلف المدينة وما حولها.



obeikan.com

أعياه البحث.. لم يجد إجابة واحدة.. فانهار إلى أحد الأركان.. وجلس محاولا أن يفهم.. ما الذي أتى به إلى هنا..؟ وتلك الأصوات التي تطارده في النوم والصحو..؟ تلك الأسئلة التي لا تنتهي وتسلم نفسها لأسئلة أخرى فتتحول تداخلاتها إلى صراخ وأصوات مزمجرة.. ماذا تريد منه.. كيف يستعيد عالمه.. وهنا وجد نفسه لأول مرة يبتسم ابتسامة ساخرة:

- عالمه..؟ أيهما..؟ ذلك الذي خرج منه شابا باحثا عن نفسه فلم يجدها.. أم ذلك الذي ضاعت فيه نفسه فعاد ليبحث عنها..؟ أيهما عالمه..؟ وهنا تشكل له عالمه على هيئة إجابة لأول مرة يفطن إليها.. عالمه هو روحه.. تلك التي يشعر بأنها تنتزع منه فيضيق صدره.. ود لو تمكن من الذهاب إلى البحر ليفتح صدره للهواء القادم محملا بتلك الرائحة اليودية التي تشبع روحه..

تلفت حول نفسه فوجد الرجل العجوز جالسا بالقرب من جدار.. توجه إليه فوقف العجوز.. قال للعجوز:

-ما الذي يحدث.. أرجوك.. حاول أن تساعدني..؟

-وماذا تريد..؟

-أريد أن أفهم..

-وما هو الغامض عليك..؟

-تلك الأصوات التي تطن دائما في رأسي..

-أية أصوات..؟

-أصوات تحيل ليلي كوابيسَ لا تنتهي.. وتحيل نهاري إلى متاهة أعجز عن الوصول معها إلى أية حقيقة.

-هناك صوت يمكنه أن يهزم كل هذه الأصوات..

-إنها مرتفعة للغاية..

-حتى لو كانت أصوات رعود مزمجرة.. أو أصوات عواصف عاتية.. أو أصوات قنابل تدك الأرض.. أو صرخات فزعة ملتاعة في جوف الليل.. صوت واحد يطغى على كل ذلك..

-وما هو.. أرجوك دلني عليه..

-إنه صوت الإنسان.. حتى لو كان خفيضا.. هامسا.. حتى لو كان يتردد داخلك فقط.. ولا يسمعه سواك.. أنصت إليه

واستمع لما يقول.. شريطة أن يكون الصوت صادقا..

-وهل سيدلني على الطريق..؟

-أنت فقط من يملك الوسيلة والطريق.. أنت تستطيع أن تحدد بدقة ماذا تريد.. فقط باتباع الصدق مع النفس.

-وهل سأهتدي..؟

-وحدك تعرف.

-وماذا سأكون..؟

-إما أن تكون شجرة باسقة مورقة مزهرة.. تلقي بظلالها على المحرورين المحيطين بها.. ويستند إليها الضعفاء وذوي الحاجة.. ويأكل من ثمارها من يريد من الجوعى.. وإما أن تكون ورقة من أوراق الخريف التي تذروها الرياح ولا يتذكرها بعد سقوطها أحد..

حيرته كلمات العجوز ولم تفلح في أن تنهي حيرته.. شرد قليلا مع كلمات الرجل العجوز.. عاد ليسأل الرجل العجوز ثانية لكنه لم يجده مكانه.. تلفت في كافة الأرجاء وبحث كثيرا ولكنه لم يجد الرجل العجوز..



obeikan.com

خطر له أن يصعد سلم المناور ـ خاصة واليوم يوم الجمعة ـ ليرى النسوة الواقفات في الشرفات ويسمع ضحكاتهن.. لكنه حين صعد على سلم المناور ونظر إلى الشرفات وجدها خالية..

لم يكن هناك أية نسوة.. وكانت الحبال مهترئة ومدلاة ولا يوجد عليها أية قطع ملابس.. نظر ناحية شقة اعتدال فوجد باب الشرفة مغلقا وعلية أكوام من الغبار وبيوت العنكبوت..

نزل إلى الشارع ثانية واتجه بعينيه باحثا في كل اتجاه.. كانت البيوت يعلوها الغبار ومعظمها أبوابه ونوافذه مغلقة.. نظر ناحية منزل كاترينا فوجد كومة كبيرة من الأنقاض التي تدل على أن المنزل تم هدمه من فترة قريبة..

نظر ناحية بيت المقدس فلم يجد أي أثر للأنقاض ووجد الأرض خالية وكأنها سويت منذ فترة بسيطة.. أخذ يجوب الشوارع المحيطة وهو ينظر لكل البيوت المهجورة الخالية..

ووجد نفسه في النهاية يقف أمام محل تأجير الدراجات.. نظر إلى المحل فوجده نصفَ مغلق.. نظر داخله فوجد بقايا الدراجات الملقاة بلا اهتمام.. عاود السير حتى وصل إلى أول

الشارع..

تلفت فوجد الرجل العجوز.. قال له الرجل العجوز:

ـ الأمر متروك لك..

حاول أن يتجه إليه لكنه اختفى من أمامه ثانية.. تذكر كلمات الرجل العجوز الأخيرة

( إما أن تكون شجرة باسقة مورقة مزهرة.. )..

وقبل أن يكمل الجملة كانت السماء قد اكتست بلون رمادي داكن.. وتكاثرت السحب الكثيفة من كل الاتجاهات.. وأخذ الهواء يشتد ويندفع.. حتى وجد نفسه يتطوح والهواء يدفعه بكل قوة..

حاول أن يتماسك ولكنه وجد نفسه مدفوعا داخل دوامة هوائية أخذت تدور به وهو يحاول بكل قوة أن يتماسك.. شعر بأنه سيسقط على الأرض فاستند بيده إلى الجدار محاذرا ألا تسقط من يده الحقيبة التي يحملها..

أسند ظهره للجدار ونظر أمامه.. انقشعت الغيوم وصفت

السماء في لحظة واحدة.. نظر حوله فوجد سائق التاكسي يمد له يده بباقي النقود.. شكر السائق وتركه وانصرف..

كان الشارع بالنسبة له يحمل نعم العديد من الذكريات.. ولكنه كان يحمل أيضا الكثير من مظاهر التغير.. أزال عن نفسه آثار الغبار وعدل وضع الحقيبة على كتفه..

ودار بذهنه سؤال.. هل يرسل لزوجته لتأتي وتعيش معه هنا..؟ أم أن عليه أن يبحث عن نفسه التي فقدها حين ترك الشارع هنا قيل عشرون عاما..؟ هل يتصالح مع ماضيه الذي هرب منه..؟ أم أن عليه أن يدمج حاضره بماضيه..؟

وبدلا من أن يدخل الشارع متوجها إلى بيته القديم.. عدل مساره متجها إلى البحر.. لم يشغله المارة والسيارات والشوارع التي تغيرت معالمها تماما.. كان أمامه هدف واحد.. أن يصل إلى البحر..

وقف على الشاطئ وفتح صدره للهواء القادم المشبع بالرائحة اليودية.. أنعشه الهواء الداخل إلى صدره وأخذت الأسئلة تجد إجاباتها.. أدرك في تلك اللحظة أن أحدا لم يدفع به إلى التيه..

بل كانت تلك خياراته من البداية وحتى تلك اللحظة..

تلك اللحظة التي توقف عندها باحثا عن إجابة لهذا السؤال.. لكنه في تلك اللحظة تذكر كلام الرجل العجوز إليه في المرة الأخيرة.. كانت تلك بالنسبة له لحظة عليه فيها أن يختار.. وهل هناك لحظة جديرة بالاختيار أهم من.. تلك اللحظة.

obeikan.com

**للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع**

**يرجى زيارة الموقع الإلكتروني**

www.prints.ibda3-tp.com

obeikan.com